أكثر الروايات مبيعاً فى العالم

أجاثا كريستى

Looloo
www.dvd4arab.com

الليل الطويل

مكتبة النافذة

الفصل الأول

الآن بدات نهايتى.. كثيرا ما ترامت إلى اذنى تلك العبارة. وهى على عكس العبارة التى تقول فى نهايتى بدايتى، وهى جملة فلسفية قد تعنى شيئاً عقائدياً عند اهل الإسلام الذين يؤمنون بان فى دنو أجلهم بداية حياتهم الأبدية بل كان الفراعنة فى بلاد مصر النيل يعتقدون ذلك ايضا.

وانا الآن استعيد عبارات اهل الإسلام ولكن بمعتقدات دنيوية لا دينية كما يعتنقون، فقد قرات اليوم إعلان لبيع قصر الأبراج على واجهة احد المطاعم المشهورة اقصد مطعم "جورج ودراجون". وهى ابراج عريقة شاسعة المساحة، وقد تزينت صورها على جدار المطعم فبدت رائعة جميلة رغم عمرها الزمنى الطويل.

كنت اثناء ذلك اخطو فى شوارع المدينة اينما تقودنى خطواتى دون قصد او هدف وقد وجدتنى فى الشارع الرئيسى لمدينة كنجستون بيشوب. سالت نفسى لماذا جئت إلى هنا ؟ اهى لعبة من العاب القدر ؟ وهل الحظ سوف يبتسم لى اخيرا؟ ما يدرينى لعل ترجلى إلى هنا بداية نهايتى.. ربما. ربما يكون ذلك واتمنى ان يكون ذلك. فقد كنت احلم ببناء بيت جميل على اعلى طراز يشار له بالبنان .. بيت يضم معى فتاة احبها وتحبنى اقضى معها فيه ما تبقى لى من عمر.. إذن ها هى الفرصة قد لاحت واتت وجاءت لى على ركبتيها وينبغى لى ان التقطها وانتهزها.

وها هى ليللى التى اراها تقف بين الأشجار فى اراضى الغجر . نعم اراضى الغجر وحرى بى ان ابدا قصتى من هنا .. من هذه اللحظة من هذا المكان الذى وجدت فيه رجلاً كان مشغولاً فى تهذيب بعض النباتات وقد سالته

ما شكل هذا البيت المعروف "بقصر الأبراج"

وفى غير اهتمام اجابنى الرجل .. إننا لم نعد نعرفه بهذا الاسم فهو اسم على غير مسمى الآن .. واستطرد الرجل يقول فى ضيق .. إن اصحابه هم الذين كانوا يطلقون عليه هذا الاسم أما نحن فلا؟ وبادرت اساله مرة اخرى .. وماذا تطلقون عليه الآن يا سيدى؟ واستدار الرجل الجلف بعيداً عنى كعادة اهل الريف وهو يقول :

- إننا نسمى هذا القصر هنا باراضى الغجر .

- ولماذا اطلقتم عليه هذا الاسم الغريب ؟

- إن لهذا الأمر قصة لا ادرى بدايتها فالبعض يردد حكاية والآخر يذكر عكسها ولكنى استطيع ان اذكر لك ان الحوادث تقع دائما فى هذا المكان .

- اتعنى حوادث سيارات ..؟!

- كلا .. بل جميع انواع الحوادث .. وخاصة السيارات فهذا مكان مقزز كما ترى .

- حسناً .. فما دام هذا المكان مشئوماً حقاً، فإننى اتفهم لماذا تقع فيه حوادث كثيرة .

- إن المجلس القروى هنا وضع لافتات إرشادية للمواطنين لمنع وقوع الحوادث ورغم ذلك فإن الحوادث تقع هنا كل يوم .

- ولكن لماذا الغجر بالذات ..؟!

اجاب فى هدوء متظاهرا بعدم الاكتراث .. هذه قصة اخرى .. فقد كانت هذه الأراضى ملكاً للغجر فيما سبق ولكن السلطات القديمة ابعدتها عنها بقوة السلاح فصب الغجر لعناتهم عليها .

وضحكت بصوت عالى حتى وكاننى اسخر مما يقول وقد بدت على وجهه ملامح الاشمئزاز مما اصنع وراح يؤكد لى قوله فى حزم .

- اضحك ما شئت لكن عليك ان تعرف ان هناك مناطق اصابتها اللعنة فعلاً .. وانتم يا اهل المدن لا تؤمنون بذلك فصدقنى يا ولدى فإن هناك اماكن ملعونة، كما ان هناك اماكن مباركة وبعض الناس لقوا مصرعهم هنا فى هذا المحجر اثناء قيامهم باستخراج احجار البناء .. هل تعرف ان جوردى العجوز وقع فى الحفرة بعد ان زلت قدماه؟

- ولكن لعله كان مخموراً..

- ربما .. فقد كان بالفعل مدمناً للخمور .. لكن هناك مخمورون كثيرون يقعون ولا يصيبهم مكروهاً، واما جوردى فقد لقى حتفه على الفور، والتفت ناحية الهضبة التى تظللت بالأشجار، وهو يشير بيديه هناك فى اراضى الغجر .

اظن ان القصة بدأت من هنا، وإن كنت لم التفت لكلمات هذا الرجل وقد سألت الرجل هل لا يزال هناك بعض الغجر؟ فاكد لى ان قليل منهم هو الذى بقى فى هذا المكان والبوليس يتربص بهم دائما واذكر انى سالته ولماذا يكره الناس الغجر ..؟!

- اعتقد ان ذلك مرجعه ان الغجر هم عصابات إجرامية من اللصوص

وكان غريباً ان يتفحص وجهى فى لحظات قصيرة وهو يقول فى ثقة

- اعتقد يا بنى ان دماء الغجر تجرى فى عروقك .

- انا لا اظن ذلك وان كنت ابدو للناس كما لو كنت حقا من احد ابناء الغجر ولا ادرى لماذا سعدت بكلمات الرجل وقد حدثت نفسى هل صحيح أن دماء الغجر تسرى فى دمائى ؟ الغريب اننى احببت ذلك ولم ابغضه، لماذا؟ انا لا اعرف ..

واستأنست بالانصراف وتركت الرجل يستكمل تهذيب النباتات وقد سلكت طريقاً منحنياً يصل إلى خارج المدينة حتى بلغت قمة التل ووقفت عليها فرأيت البحر والسفن وكأنها لوحة رسمها فنان منذ ثوان وتحدثت لنفسى قائلا ، "ماذا لو أصبحت اراضى الغجر ملكا لى ..؟!" اعرف انه هاجس سخيف ولكن ما يمنعنى من ان احلم كما يحلم غيرى . وعدت أدراجى من نفس الطريق فوجدت الرجل لا يزال يعمل فى الحقل وقد بادر بالقول ناحيتى .

- إذا اردت أن تتحدث مع بعض الغجر فإن مسز لى تقيم هناك فى كوخ منحه لها الميجور .

فسألته.. ومن يكون هذا الميجور؟

فرمقنى بنظرة تدل على جهلى وهو يقول متعجبا .

- الميجور فيليبوت طبعا.

فأدركت بالطبع أن الميجور فيليبوت هذا هو إله القرية وولى نعمتها ويبدو انه يعيش هو واسرته فى هذه المنطقة منذ أمد بعيد وانهم يعملون على توفير أسباب الراحة والعيش لهذه القرية الفقيرة .

وانصرفت بعد أن حييت الرجل العجوز قاصدا كوخ مسز لى وقد قال الرجل بصوت عال غليظ كعادة اهل الريف .

- مسز لى تقيم فى اخر كوخ عند اخر الشارع وإذا لم تجدها فى الكوخ فهى فى الشارع حيث إن دماء الغجر تجرى فى عروقها وهى لا تحب البقاء فى الكوخ .

وانطلقت ناحيتها وانا اتمنى وافكر فى اراضى الغجر غير عابئ بما سمعت فإذا بامرأة طويلة القامة ذات شعر كالح السواد تحدق فى وجهى وتعترض طريقى ففهمت انها مسز لى فتوقفت امامها سألتها ،

-هل انت مسز لى ..؟

- نعم، ماذا تريد يا فتى ؟

- علمت انك تعرفين الكثير عن اراضى الغجر .

نظرت لى من خلال شعرها الأسود الذى تدلت خصلاته على عينيها وهى تقول ،

- وماذا تريد منها ؟ ابتعد عنها .. لا شان لك بها يا فتى .

- لكنى عرفت انها معروضة للبيع فى احد المزادات .

- نعم .. وان الذى سيقوم بشرائها هو جاهل احمق .

- ومن يكون هذا الجاهل الأحمق ..؟!

- اشخاص كثيرون يريدون أن يقيموا المبانى فوقها وسوف تباع بثمن ضئيل جدا وسترى .

- ولكن لماذا تباع بثمن بخس يا مسز لى فهى اراضى جميلة ورائعة .

ولم تجب على سؤالى وقد تظاهرت بالملل فى الحديث معى فعدت اسالها .

- لنفترض أن بعضهم اشتراها بثمن بخس فما ذا سيصنع بها .. ؟!

فابتسمت بدهاء الغجر وهى تقول ،

- سوف يهدمون البيت القديم ويعملون على إعادة بناءه من جديد بالطبع واظن انهم سوف يبنون بيوتاً كثيرة فوق هذه الأراضى ولكن مهما كان شانهم فسوف تحل عليهم اللعنة هنا. وتظاهرت بعدم سماعى كلماتها الأخيرة، وانا اقول ،

- سيكون ذلك عارا .. بل عار كبير ..

- لا داعى لأن تتضايق او تقلق فلن يصيب احد اذى إلا الذين سيشترونها فقط كما سيصاب، هؤلاء العمال المساكين الذين سيتعرضون لعواصف ورياح عاتية ستقلع ادواتهم الخشبية والخرسانية وسوف يلقون حتفهم اثناء عملهم سترى يا بنى .. فمن الأفضل الا يقترب منها أحد من الأفضل ايثارا للسلامة .

واومات براسها فى ثقة وهى تقول:

- سوف يتعرضون لخسارة فادحة فى الأرواح والأموال ولن يربحوا منها شيئاً.

فضحكت فى بلاهة .. حتى انهى لاحظت ضيقها من سلوكى الشاذ فقالت فى حدة وعنف:

- لا تضحك يا فتى فقد تأتى ساعة لا ينفعك فيها الضحك .. صدقنى يا ولدى لا خير فى البيت او فى الأراضى لا خيرا ابدا.

فعدت اسالها فى فضول ..

- ما الذى حدث للبيت يا مسز لى ؟ ولماذا ظل خاليا من السكان كل هذه المدة ؟ ثم .. ثم لماذا تركوه اصحابه هكذا حتى تداعت أحجاره ؟

فاجابت فى اسى وحزن :

- إن اصحابه ماتوا جميعاً ..

فسالتها مرة اخرى ..

- ولكن كيف ماتوا ..؟!

- ارى من الخير لك الا تتطرق لهذا الموضوع ثانية فعلى كل حال فان احدا لم يهتم بالمجىء إلى هنا او الإقامة فيه فصار اطلال وخرابا كما ترى ولقد سقط من ذاكرة الجميع ومن الخير ان ينساه الجميع .

فقلت فى لهفة .

- ولكنك تعرفين كل شىء عنه .. فلماذا تبخلى علىّ بأية معلومات حول هذا المكان.

- بصراحة .. انا لا احب ان اتحدث عن أراضى الغجر .

ثم عادت تتحدث بصوت هامس غير مسموع .. فطلبت منها أن ترفع من صوتها حتى اتمكن من سماعها فقالت:

- ارغب فى قراءة طالعك ايها الشاب الوسيم وعليك ان تضع قطعة من النقود الحقيقية فى يدى فانت احد هؤلاء الذين سيشتهرون فيما بعد .

- فقلت ، الواقع يا مسز لى إننى لا اؤمن بهذه الخرافات ثم إننى لا احمل فى ملابسى اى قطعة من النقود الفضية .

فاقتربت منى كمتسولة وهى تقول :

- سافرا لك حظك بستة سنتات فقط إنه مبلغ ضئيل وضئيل جدا فانت شاب وسيم طلق اللسان ذكى وقد يكون لك شان فى يوم ما بل سيكون شأن كبير .

ورضخت لها فاخرجت من جيبى قطعة نقدية بست سنتات ولم يكن رضوخى لها إيماناً بما تقول بل إعجاباً بما تصطنعه من حيلة ودهاء واعطيتها السنتات فخطفتها منى وهى تقول :

- والآن هات يديك الاثنين .

وخطفت يدى بين اصابعها ونظرت إلى راحتها لحظات وقد تحلت بالصمت عدة دقائق وهى تحدق فيهما ثم دفعت بهما وهى تقول بعد ان تراجعت عدة خطوات إلى الوراء .

- ارى يا ولدى ان تبعد عن هنا والا تعود ابدا .. صدقنى هذه نصيحة مخلصة .. ارجوك استجب لى وارحل من هنا فورا ولا تعد..

- لكن .. لماذا لا اعود ؟

- لأن عودتك ستجلب لك الأحزان والهموم بل والمخاطر سوف تحاصرك من كل جانب .. صدقنى ايها الفتى الوسيم ان متاعب سوداء تنتظرك هنا.. ابعد فورا .. ابعد عن هنا .

- ولكن ..

ولم تدعنى اتحدث فقد استدارت بوجهها بعيدا عنى واعطتنى ظهرها وانطلقت إلى كوخها واغلقت بابها بقوة ولكنى لا أؤمن بالخرافات وان كنت شديد الإيمان بالحظ ثم من هذا الذى لا يؤمن بالحظ ولكن شيئا غريبا جعلنى لأول مرة اشعر بان هذه المراة صادقة فيما تقول فيبدو انها قد رات فى راحة يدى شيئا خطيرا وكيف يمكن للمرء قراءة الغيب فى ايادى الناس ؟ إن هذا امر مولم وسخيف وهو اداة سهلة لابتزاز النقود بكل سذاجة ورفعت بصرى إلى عنان السماء فلاحظت ان الشمس قد اختفت وراء الأفق وبدا اليوم يختلف عما كان منذ قليل فالرهبة تحيط بالمكان وكان هناك عاصفة تستعد لزيارة المكان فها هى الرياح بدات تتحرك واوراق الأشجار راحت تهتز والخوف قد تملكنى فقصدت الانطلاق إلى القرية.

وعدت انظر إلى إعلان المزاد ودققت النظر فى تاريخ الإعلان صحيح اننى لم اشترك فى اى مزاد من قبل لكننى اريد ان اعرف من الذى سيرسى عليه مزاد الأبراج ويصبح مالكا لأراضى الغجر. من هنا بدات القصة وخطر فى بالى هاجس غريب ماذا لو اننى حضرت هذا المزاد وتظاهرت باننى احد المنافسين فى الشراء .. إن خيبة املهم فى شرائها بثمن ضئيل ستكون كبيرة عليهم .. وماذا لو ذهبت الآن إلى رودلف سانتوينكس لأطلب منه أن يبنى لى هذا القصر فقد اشتريت الموقع الآن فمن المؤكد اننى سوف اجد فتاة عندئذ .. فتاة تكون زوجة لى تعيش معى هنا فى سعادة وسرور إلى الأبد.

لقد كانت هذه هى احلامى منذ صغرى وهى احلام صعبة المنال بالطبع لكنها لذيذة نعم لذيذة .. يا إلهى .. اه .. اه لو اننى اعرف .

الفصل الثانى

ذهبت إلى اراضى الغجر مصادفة دون قصد منى حيث كنت اقود سيارة اجرة ركبها زوجان إلى خارج لندن لحضور احد المزادات. ولم يكن المزاد مطروحا لبيع اراضى او عقارات ولكن كان مطروحا فيه بيع مفروشات ومنقولات واثاث وكان البيت الذى يبيع هذه المنقولات من اكبر البيوت يقع فى اطراف المدينة وفى اقذر اماكنها .

اما الزوجان كانا كبيران فى السن وقد دار حديثهما عن الأوانى المصنوعة من الورق المضغوط وان كنت لا اعرف معنى الورق المضغوط فلم يسبق لى سماع هذه الكلمات من قبل .. اه .. لقد سمعتها ذات مرة من إحدى جاراتنا فقد قالت لأمى أن الأوانى المصنوعة من الورق المضغوط اجود كثيرا من اى اشياء اخرى مصنوعة بورق مضغوط .. ولكن اليس هذا امرا غريبا ان يرحل زوجان من بلدهما لشراء مجموعة من هذه الأوانى . ورحت ابحث وافتش فى القواميس عن معنى هذه الكلمة التى دفعت بالزوجين لهذا المكان وهذه عادتى دائما البحث عما لا اعرفه واسمع عنه .

كنت فى الثانية والعشرين من العمر .. وقد تمكنت من جمع معلومات كثيرة عن السيارات كنت ميكانيكيا ماهرا .. وسائقا لا يشق له غبار واذكر اننى اشتغلت ذات مرة فى اصطبلات الخيول وتورطت مع إحدى عصابات المخدرات فى ليرلندا ولكننى ادركت خطئى فقطعت علاقاتى بها فى الوقت الملائم .. والآن انا اعمل سائقا فى إحدى الشركات الكبرى من شركات سيارات الأجرة وهو عمل لطيف غير شاق .. يمكننى ان اجمع من خلاله ثروة لا باس بها من الهبات و العطايا .

ثم اذكر ايضا اننى عملت مرة فى جمع الثمار فى الصيف ولكن باجر زهيد وإن كنت احببت ذلك ايضا .. كما عملت ساقيا فى احد فنادق الدرجة الثالثة .. وغطاسا فى احد الشواطئ وكنت مندوبا لإحدى دور النشر لبيع دوائر المعارف ومندوبا لشركات التامين ومندوبا لشركات

النظافة بل اشتغلت بستانياً ذات مرة وعرفت بعضا من المعلومات عن الأزهار والورود .

هكذا كنت لا استطيع البقاء فى عمل لفترة طويلة فانا لست كسولا بطبعى وان كنت اصاب بالملل لا اهوى الاستقرار، فانا فضولى احب البحث عما هو جديد فى اى مكان .. نعم انا كذلك .

فمنذ ان تركت الدراسة وانا ابحث عن شىء ما لا اعرف ما هو كنت ابحث عنه فى غموض وبوسائل غير مستحبة ابحث عن شىء كنت اريد معرفته الآن او بعد ذلك هل كنت افتش عن فتاة احبها وتحبنى .. نعم انا احب الفتيات ولكن الغريب اننى لم التق بفتاة تجذب انتباهى وتشد اهتمامى .. كنت اعرف واحدة وانصرف إلى اخرى غيرها .. وانا سعيد فلم أكن قد ارتبطت بعلاقة حب مع اى فتاة .. صحيح استنكر البعض هذه الطريقة واعنى بهؤلاء الذين كانوا يحبوننى ويريدون لى الخير وبالطبع فقد ضايقتهم طريقتى فى الحياة لأنهم لم يفهمونى اطلاقا .. هم يريدون ان ارتبط بفتاة جميلة واحدة واستقر معها وان ادخر بعضا من الأموال للزواج مع استقرارى فى وظيفة دائمة .. وهكذا كانوا يريدون منى ان اكون روتينياً اعتاد على هذا البرنامج اليومى الذى لا يتغير ابدا .. والواقع اننى متمرد على هذا النظام ولا اطيقه .. فنحن نعيش فى عصر الفضائيات والصواريخ والأقمار الصناعية فكيف لى ان اعيش فى ظلها كعقرب الساعة لا ينتهى دورانه.

وانا احب البحث عن كل ما هو جديد فى واجهات المحلات بشوارع لندن خاصة محلات الأحذية الأنيقة وصور الموديلات الرائعة وانا كعادتى احب شراء الملابس الفاخرة بكافة انواعها . وكثيرا ما اذهب إلى متاحف ومعارض فنية تضم لوحات عريقة لمشاهير الفنانين . وان كنت لا ارغب فى اقتناء هذه اللوحات مهما كانت قيمتها الفنية والنقدية ثم لماذا اقتنى لوحة فنية وانا لا افهم ماذا تعنى خاصة هذه اللوحات السريالية الملينة بالخطوط

والألوان التى لا تحمل معانى واضحة للرائين ثم اننى لم اعتد على شراء هذه اللوحات .. ولكن ما المانع فى شراء لوحة فنية مثل هؤلاء الأغنياء المجانين ولماذا لا اكون مجنوناً مثلهم ووقع بصرى على احد المعارض الفنية وقصدته متظاهرا بمعرفتى فى اصول هذه اللوحات وفى أدب جم وتواضع شديد احضر لى مدير المعرض لوحة فنية رائعة حدقت فيها ملياً وسرحت طويلا وانا اظن ان سعرها لا يتجاوز خمسة وعشرون جنيها. فهذا ما أرى انها تستحقه فهى رائعة وحين سألت صاحب المعرض عن ثمنها بعد أن عزمت على اقتنائها اجابنى فى هدوء وثقة اعتاد عليها فى مثل هذه المواقف ان سعرها خمسة وعشرون الف من الجنيهات. وذكر اسم فنان اجنبى وانها كانت ضمن مقتنيات احد القصور العريقة فى إحدى ضواحى البيوت الريفية وظهرت على وجهى ملامح الدهشة من هول الرقم الذى ذكره الرجل الذى أدرك بفراسته إفلاسى وقلت له انها حقا رائعة وتستحق ان تباع بهذا الثمن الكبير واجابنى فى ادب شكرته عليه ..

- انت تفهم فى اللوحات الفنية ولديك ذوق عال.. واخذها منى ووضعها فى مكانها حيث أدرك مشقتى فى شرائها .. وان كنت قد شعرت ان هذه اللوحة قد جذبتنى بالفعل عن غيرها ولكن ما عساى ان افعل فمن اين لى بهذا المبلغ الضخم.

الفصل الثالث

انا لست بارعاً فى تسجيل احداث حياتى مثل غيرى لعل روايتى لقصة هذه اللوحة لم اكن فى حاجة إلى سردها عليكم ثم اننى لم اذكر شيئاً عن سانتونيكس حتى الآن صحيح هو مهندس معمارى. وقد قابلته اثناء عملى فى شركة سيارات الأجرة وكنت فى ذلك الوقت اقضى زمنا طويلاً مع الأثرياء الذين يرغبون فى السفر والترحال إلى بقاع الدنيا واذكر اننى قد ذهبت مرتين إلى المانيا، ومن خلالها تعلمت قليلا من اللغة الالمانية .

كما ذهبت إلى البرتغال وفرنسا. وكانت أغلب زياراتى من الأثرياء الذين تقدمت بهم السن وحين يختلط المرء مع هؤلاء القوم يدرك على الفور ان المال ليس هو كل شىء فى هذه الدنيا فهم كثيرو الشكوى والصراخ بل ويتعاطون العقاقير والأدوية المهدئة من وقت لآخر للتخلص من متاعبهم النفسية بسبب اعمالهم وتكدس اموالهم .

نعم كان هؤلاء الأثرياء بائيسن حقا .. من ادارات الجمارك و الضرائب وباقى الدواوين الحكومية التى تلاحقهم وتطاردهم وكانوا يشعرون بالملل والضيق من حياتهم .. وكنت ارى ان حياتهم الجنسية باردة تخلو من الاثارة والدفء فقد تزوجوا من فتيات صغيرات فاتنات جميلات يمتلئن بالحيوية والتشوق الحار إلى ممارسة الجنس مثل أصدقائهم ومنهم من تزوج من امرأة دميمة احالت حياته إلى جحيم لا يطاق . وهو ما جعلنى أشعر باننى اسعد الناس لكن عندى رغبة ملحة فى رؤية بلدان العالم .

المهم .. اننى تعودت على أن اقود سيارتى لخدمة رجل طاعن فى السن إلى شواطئ الريفيرا من وقت لآخر . وكان يذهب إلى هناك لمتابعة سير اعمال شركاته وكان سانتونيكس هو المهندس المعمارى الذى يتولى بناء احد بيوته وإن كنت اجهل هوية وجنسية سانتونيكس وإن كنت قد ظننت انه فى بادئ الأمر انه إنجليزى على الرغم من غرابة اسمه. ثم ظننت انه من

اهل اسكندنافيا .. وكان مريضاً صحيح كان شاباً وسيماً جذاباً نحيل الجسد له قسمات وجه غريبة . حاد الطباع كثير الانفعال .. يقولون عنه انه ذئب نمرود لكنه كان عبقرياً واثقاً فى نفسه معتزاً بذكائه .

وقد شاهدت بنفسى مناقشة حامية بينه وبين الرجل العجوز الذى كنت اصطحبه فى سيارتى وجه دارت على هذا النحو بعد ان انفعل العجوز فى المهندس المعمارى المسئول عن بناء بيته .

- إنك لم تنفذ ما ارغب فيه .. وقد انفقت مالاً كثيراً على غير ما توقعت دون ان تنجز شيئاً يستحق النظر إليه .

- فاجابه سانتونيكس .. انت على حق يا سيدى .. ولكن ما فائدة المال إن لم ننفقه فى بناء بيت جميل على احدث طراز .

- المطلوب منك ان تفهم حدود عملك لا شان لك باموالى فانا لن اعطيك بنساً واحداً وسالتزم معك بالاتفاق الذى وقعنا بنوده معاً .

- فقال سانتونيكس .. انا اعرف ماذا تقصد ولذلك فانت لن تتسلم البيت الذى تريده، إن البيت الذى ابنيه هو ما تتمناه، وانا اعرف ماذا اقول وارجوك الا تصدع راسى بدروس الوعظ عن التبذير والبذخ، انت ترغب فى بيت جميل فريد من نوعه تتفاخر به بين اصدقائك وانا اعدك ان بيتك هذا سيكون مفخرة لك ولن يقدر بمال ولا مجال بمقارنته ببيت اخر .

- ولكن الأموال كادت تنفذ فى بناءه .

- انا اعرف ذوقك واعلم ما تريد .. انت تريد بيتاً فخماً بأقل التكاليف وهذا شاق وعسيراً ارجوك لا تفكر بهذه الطريقة .

والحقيقة ان القصر كان يبدو لى انه سيكون جميلاً فهو يقع بين اشجار الصنوبر على حافة البحر وعلى منحنى قريب من قمة الجبل وقد توقعت ان يكون قصراً رائعاً لا نظير له يثير الاهتمام .

واثناء حديث سانتونيكس كنت اقف على بعد خطوات منه وقد انصرف من أمام الرجل العجوز وتقدم نحوى بخطوات وهو يقول :

- إننى اختار زبائنى لبناء بيوتهم.

- فقلت له : تقصد الأثرياء فقط .

- نعم فالأثرياء يملكون المال للإنفاق على تشييدها وإن كنت لا ابالى بما يعود على من ارباح ومكاسب والواقع اننى لا ابنى سوى القصور فقط التى لها طراز خاص بها وانا اتعمد دائما ان تكون تلك القصور فى اماكن جميلة تبدو كالجوهرة، وإلا فما فائدتها إذا كانت ذات طبيعة قبيحة ونظر إلى وهو يقول فى ثقة .. هل تفهم ما اريد ان اوضحه لك .

- فاجبت.. لا اظن .. وإن كنت اشعر باننى فاهم لما تقول.

وفى مرة اخرى عدت لهذا القصر فوجدته قد ارتفع ولن استطيع ان اصفه فهو اكثر من رائع بل هو اجمل القصور التى رايتها طيلة حياتى . نعم كان بيتاً يدل على الجمال والروعة ويدل على صدق ما كان يردده المهندس العبقرى وكان من حق صاحبه ان يتفاخر به هو واسرته امام اصدقائه فهو قصر لا نظير له فى الوجود وامامى إعجابى ودهشتى من مفاتن هذا القصر العجيب . قال لى سانتونيكس المهندس العبقرى .. لعلنى استطيع ان ابنى لك بيتاً آخر فانا اعرف شكل البيت الذى ترغب فى بناءه .

فاجبت عليه بائساً .. انا نفسى لا اعرف ماذا يكون بيتى الذى اريد بناءه.

- ولكننى اعرف ما تريد حتى لو لم تكن انت تعرف ولكن للأسف انك مفلس لا تملك مالاً لبناء بيت تريده وتتمناه .

- هذا حلم لن يتحقق لى ابدا .

- من يدرى ؟ فمن يولد فقيراً لا يظل على حاله والمال امر يدعو للغرابة فهو يذهب لمن يريده

- لكن انا غير محظوظ او موهوب للحصول عليه .

- كلا .. انت لست طموح وربما الطموح راقد فى عقلك لم يستيقظ بعد

- فقلت ، اوه.. ربما فحين يستيقظ طموحى وأحصل على الثروة الطائلة فسوف الجأ إليك .

- وزفر سانتونيكس وهو يقول ، لا أستطيع الانتظار فانا لن اعيش طويلاً .

- إذن انت تريد منى ان اوقظ طموحى النائم فورا .

- كلا .. انت تتمتع بحياة هادئة لا تتركها ودعك من هذه الأحلام .

نعم اصاب المهندس بما يدور فى خلدى، فانا دائماً أكره جمع الأموال فقد وجدت تعاسة مرسومة ومنحوتة على وجوه الأغنياء رغم مظاهرهم الخادعة بل لاحظت ان اغلبهم يصاب بأمراض خطيرة أما انا فاتمتع بصحة جيدة وابحث عن عمل هادئ غير شاق كى استمتع بما تبقى لى من عمر فى هذه الحياة . ولكن سانتونيكس هذا رجل طموح فهو دائم البحث عن خرائط ورسومات جديدة ولا يمل من الوصول إليها وقد اعتصر نفسه واكتوى بطموحاته واختزل شبابه فى البحث عن أموال كثيرة.

لقد حيرنى هذا المهندس كثيرا وقد فكرت فى شأنه مرات عديدة، كما تذكرت اللوحة الفنية والفتيات اللاتى عرفتهن وهن كثيرات .

كما تذكرت وجوه الأثرياء الذين رافقتهم وهى وجوه كئيبة وتشابهت مع بعضها .. انهم ينزلون فى نفس الفنادق ويتناولون نفس الوجبات والمشروبات، وانا لا ازال انتظر شيئاً سيحل بى لا ادرى ما هو لكن إحساس غريب يتملكنى نحوه .. اعنى الفتاة المناسبة التى ستكون زوجة لى واليفتى فى الحياة فتاة من طراز امى او عمتى جوزيا او بعض أصدقائها، وانا

لم اكن عرفت شيئاً عن الحب ولم اشأ ان اعايشه مع اى فتاة وربما كان هذا شان كل ابناء جيلى من الشباب الذين يطمعون فى فتيات جميلات لمطارحتهن الغرام ثم التخلى عنهن للعيش مع.

ولم يخطر لى ان احب حباً حقيقياً صحيح هو يظهر فجأة دون موعد سابق وإن كنت انتظر وابحث عنه وافتش عن فتاة تبادلنى إياه . ولكن أين هو وأين يكون ومع من ؟ ثم متى سأرى هذه الفتاة التى اشتقت إليها طويلا ولم اجدها ؟ متى ستاتى؟

الفصل الرابع

كنت دائما اضع فى خطتى المستقبلية تاريخ هذا المزاد وقد كان امامى متسعاً من الوقت دفعنى للقيام برحلتين الأولى إلى فرنسا والثانية إلى المانيا وفى الأخيرة كنت أشعر بكراهية شديدة إزاء الرجل الذى كنت أنقله هو وزوجته . نعم .. رأيتهما فى عيناى دميمين وقحين. متهورين وشعرت اننى لا ارغب فى البقاء معهما كعادتى مع جميع من أتولى نقلهم داخل اوروبا إلا اننى رفضت الإفصاح عن مشاعرى وتظاهرت بالارتياح لهما فلم يكن هناك سبباً منطقياً لإثارة خلاف معهما يترتب عليه أضرار سلبية مع شركتى، ولذلك اتصلت بالفندق الذى سيقيمان فيه وابلغت ادارته اننى متوعك ثم ابرقت إلى لندن بذلك ايضاً . وزعمت فى برقيتى اننى قد أظل طريح فراش المستشفى لعدة أيام قادمة وأن من الأفضل أن يرسلوا سائق اخر بدلاً منى .. وإن كنت اعرف اننى لست بهذه الأهمية التى تستحق عناء أحد كى يسأل عنى ويستفسر عن أحوال صحتى وقد يكون عدم اكتراث الإدارة بشخصى هو ما دفعنى للتمرد على هذه المهنة القذرة التى كرهتها وسئمتها .

لا اعرف هل كان سبباً كافياً لهذا التمرد وهذه الثورة الداخلية التى اشتعلت جذوتها فى نفسى ام أن ذلك كان مبرراً للحاق بصالة المزاد وبالفعل ذهبت إلى الموعد المحدد للمزاد ووصلت إلى هناك لأجد عبارة غريبة أضيفت إلى الإعلان القديم تقول : (ما لم تكن قد بيعت باتفاق خاص) لقد كانت جملة حقيرة تدل على خبايا وأسرار هذه المزادات ومؤامراتها التى تتم سرا بين هؤلاء المحترفين.. اللعنة لو تم ذلك من خلف ظهرى لقد كنت ثائرا مضطرباً لا اعرف لماذا ..؟ والغريب انه لم يسبق لى الاشتراك فى اى مزاد من قبل فلماذا كل هذا الانفعال والاهتمام هذه المرة؟ وبدأت الجلسة هادئة وقد حضرها نحو سبعة اشخاص فقط كانوا يتسمون بالمرح وخفة الدم وروح الدعابة على غير عادة اهل المزادات الأخرى الخاصة بالمفروشات والأثاثات وبدا

السجال وسرعان ما انتهى دون نتيجة حاسمة حيث كانت الأسعار بخسة جدا مما دفع اصحاب المزاد إلى فضه مبكرا لعدم الوصول إلى الرقم المطلوب للبيع . كان الحاضرون بعضهم من رجال القانون واحدهم يبدو لى من مظهره انه مزارع واخر اتصور انه يعمل فى مجال البناء وواحد اخر كان ملبسه واناقته تدل على انه رجل اعمال .

وبعد ان انفض سامر المزاد تحدثت مع احد القرويين الذى كان يقف بجوارى بدات كلامى معه كما يلى :

- الا ترى انها كانت جلسة هادئة ومملة وتخلو من الإثارة ؟

- فاجابنى فى هدوء ايضاً . هل سبق لك حضور مزادات قبل ذلك ؟

- فقلت له .. كلا هذه اول مرة احضر فيها مزاد .

- فاجاب .. إذن يخيل لى انك حضرت بدافع الفضول (فانا لاحظت انك لم تشترك فى الجلسة وكنت تلوذ بالصمت مكتفاً به) .

- اجبت .. نعم فقد اردت ان اعرف كيف تسير هذه المزادات .

- فقال .. كما ترى تبدا بجس النبض دائماً ..

فنظرت إليه وكانى اريد ان افهم ما يقول حتى استطرد قائلاً :

- هناك دلالة يهتمون بهذا الأمر - ويزرى من هلمنستر وهو مقاول بناء والاثنان الآخران داكهام وكومب وهما مندوبان عن إحدى شركات ليفربول وهناك رجل غريب الشكل اظنه من لندن وان بدا شديد الحذر والحيطة وهناك اشخاص مجهولين لا اعرف عنهم شيئاً وقد علمت ان الأرض تباع بابخس الأثمان .

فقلت له مقاطعاً - لماذا ؟ وهل سمعتها السيئة هى سبب ذلك ؟ - فقال .. يبدو انك سمعت عن منطقة الغجر فهى قصص شائعة فى الريف بسبب

حوادث السيارات وهو ما اظن انه خطا جسيم ارتكبه مجلس القرية الذى تجاهل وصف وتسوية هذا الطريق المنحنى .

- ولكن طبقا لمعلوماتى فإن المنطقة مشهورة بسمعة سيئة .

- كلا .. هذه خرافات روجها المزارعون والغجر ولعلمك فإن عملية البيع ستتم خلف ظهورنا واظن أن مندوب شركة ليفربول سيحصلان عليها حيث ان ويذرى يسعى دائماً لشراء الأشياء بارخص الأسعار ثم إن هذه الأرض شاسعة وكبيرة وتحتاج إلى إمكانيات جبارة لتنظيفها والبناء عليها .

- فقلت ... ولكن هذا لا يحدث الآن كثيرا

- فاجاب .. نعم .. نعم فهناك الضرائب والأعمال البيروقراطية إلى جانب صعوبة جلب الخدمة والعمال بسهولة إلى الريف ثم إن الناس دائما يرغبون فى شراء شقق فاخرة داخل المدن ولو كانت فى ادوار عليا بدلا من البقاء داخل القرية الريفية فقلت .. ولكنك لا تستطيع أن تبنى هنا بيتا رائعا

- نعم اوافقك فى ذلك ولكن لا تنس أن هذا يتطلب نفقات باهظة هذا إلى جانب ان الناس بطبعها لا تميل نحو العزلة والانطواء .

- فقلت له .. كلا .. فإن بعض الناس يميلون إلى العزلة .

وضحكنا معاً وانصرفنا وانطلقت وحدى فى حيرة ووجدتنى على هدى قدماى امشى نحو الطريق الذى يقع هناك بين اشجار الشوح القريبة من قمة التل المرتفع وقد قلت لكم أن من بين هذه الأشجار رأيت ليللى لاول مرة واقفة لجوار شجرة كانت ترتدى فستانا أخضر داكن وكان شعرها أحمر وقد بادرتها بالكلام بعد ان ظلت واقفة كعروس بحر لا تتكلم .

- إننى اعتذر فانا لم ارغب فى تخويفك فانا لم أكن اتوقع وجود أحد هنا فاجابت بصوت ناعم رقيق جميل كصوت طفلة برينة .

- لتفهم ذلك .. فانا ايضا لم اكن لتوقع وجود احد غيرى هنا وطاف بصرى حول المكان الذي نقف فيه معا وانا اقول ، انه مكان معزول فشعرت برعشة خفيفة سرت فى جسدها وظننت انه بفعل الطقس السيئ فاقتربت منها خطوة ثم قلت لها ،

- الا ترين ان هذا المكان مخيفاً بعض الشيء .. اقصد منظر البيت وهو اطلال هكذا .

- فاجابت بعد تفكير . تقصد بيت الأبراج اليس كذلك ؟ اننى لا ارى فيه اى ابراج كما يزعمون .

- فقلت لها .. هو اسم شائع ردده الناس دون تفكير منطقى ..

- فضحكت وقالت .. هل تعرف انه كان معروضاً للبيع مع الأراضى المجاورة له فى مزاد اقيم اليوم وانقضى منذ قليل .

- فقلت .. نعم وانا عائد منه الآن .

- فقالت .. اوه هل ترغب فى شراءه ؟

- فاجبت .. كلا فماذا افعل ببيت متداعى كهذا.

- فسالت .. هل اشتراه احد ..؟

- كلا .. فقد انقضى دون ان يشتريه احد لبخس الأثمان المعروضة .

- قالت .. اوه هذا امر حسن .

- فقلت .. هل ترغبين فى شراءه ..؟

- فاجابت، كلا.. كلا طبعا.

- وبدت منفعلة وهو ما دفعنى للقول .

- اذا كنت قد قلت اننى !!!!نى لا ارغب فى شراءه فهذا لأننى لا املك

مالاً وفيرا لذلك ولكن من صميم قلبى اتمنى شراءه وبداخلى إحساس يؤكد لى انه سوف يكون هذا البيت ملكى انا دون غيرى .

- ولكنه اطلال متداعية كما ترى ؟

- نعم .. اريده على حالته هذه .. فسوف اتخلص من هذا الحطام والركام .. ثم انه بيت كئيب فى جغرافيا رائعة .. انظرى معى .. انظرى من هنا تعالى معى تأملى هذه الأشجار .. هذه التلال والاراضى الشاسعة يا إلهى إنها لوحة رائعة فاتنة الحسن والجمال .

واخذتها بحنان ورقة من ذراعها ومشيت بها عدة خطوات إلى قمة اخرى وقلت لها مستطردا ، انظرى من هنا، الطريق ينحدر إلى البحر والغابات الكثيفة وإذا تخلصت من هذه الغابات وقمت بتمهيد الطريق لتمكنت من بناء بيت جميل هنا يبدو جوهرة للناظرين ببيت يبنيه مهندس عبقرى .

- فقالت فى هدوء ورقة .. هل تعرف مهندسا عبقريا ..؟!

- فاجبت بسرعة .. نعم اعرف واحدا يتمتع بذكاء وعبقرية لا نظير لهما .

ثم اردفت واصفاً لها عبقرية سانتونيكس .. كنا اثناء ذلك نجلس معا فوق جذع شجرة واستطردت فى الحديث دون توقف وهى تسمعنى فى اهتمام اراحنى كثيرا حتى وجدتنى احكى لها ما يموج من صراعات فى نفسى ومشاعرى وقد انهيت حديثى معها قائلاً ،

- هى احلام وامنيات اتمنى تحقيقها وانا واثق من انها لن تتحقق ولكن فكرى معى سوف نقطع هذه الأشجار وسوف نزرع بستانا جميلا بدلا منها وسياتى صديقى المهندس المعمارى ويضع رسما جميلا للبيت الذى سنقيم فيه سوف يكون بيتا رائعاً سيظل حديث الناس إلى ان نموت ونعلمك فان المهندس سانتونيكس لا يبنى إلا القصور الفخمة فقط لأصحاب المال والذوق الرفيع .. اننى احلم وبوسعك ان تحلمى معى ايضا .

- فقالت ليللى ، نعم اريد بيتا كهذا .. انك جعلتنى احلم به واتمناه بيتاً تطيب لنا الإقامة فيه دون ان يعكر صفونا اى شىء بعيدا عن ضوضاء المدن وضجيجها واحداثها .. لقد مللت الناس واريد ان انعزل عنهم واعيش هنا مع زوج طيب هادئ الطباع.

وهكذا بدات قصتى مع ليللى، انا بكل ما املك من احلام وامنيات وهى بكل ما تملك من ثورة وتمرد وعصيان على اوضاعها وتوقفنا عن الكلام وتبادلنا النظرات وقد قطعت صمتنا بسؤال كنت اتوقعه منها .

- ولكن حتى الآن انا لا اعرف ما هو اسمك..؟!

- فاجبت - مايكل روجرز ولكن ما هو اسمك ياعزيزتى .

- فقالت بعد تردد فينيللا جودمان.

ولا ادرى لماذا ظهرت على وجهها علامات الضيق من سؤالى .. وعدنا مرة اخرى للسكوت والصمت نتبادل نظرات تحمل معانى الإعجاب والحيرة من امرنا .. كلانا يرغب فى تحديد موعد آخر .. كلانا يتطلع للقاء جديد ولكن من الذى سيبادر ويطلب من الذى سيجاهر ويعلن بما فى نفسه . اننا بدانا نفكر فى الانصراف وكلانا ايضا يرفض ان يبدا فاللقاء جميل والحديث ممتع .. نعم فانا الذى كنت اجيد لغة الحوار مع اى فتاة لا اعرف كيف انهى حديثى معها ثم انا لا اريد ان اختم حديثى معها وهى ايضا لا ترغب فى ذلك ولكن شيئاً ما جذبنى لهذه الفتاة .. جعلنى اسير لها ما هو انا لا اعرف فعلاً لا اعرف .. ليتنى اعرف ..

الفصل الخامس

الواقع .. ان علاقتى بالآنسة ليللى لم تتطور باكثر من ذلك وهذا يعود إلى الغموض والأسرار التى يحتفظ بها كلامنا .. لذلك فقد رفضت الإفصاح عن شئونها الخاصة وشعرت انا بذلك من ترددها اثناء الإجابة على اسمها والعجيب ان كلانا كان يخشى ان يغور فى اعماق الآخر حرصا على مشاعره وما يرغب فى عدم الكشف عنه لماذا .. لا نعرف ؟ لا نعرف .. حتى السؤال عن لقاء يجمعنا رفضنا ان نتطرق له.

ربما سألتها لعلى استكشف شيئا مما يحيط بها من غموض حتى اتمكن من معرفتها كما ينبغى .. نعم انا اذكر انى سالتها قبل ان نفترق.

- هل تعيشين هنا فى هذه المنطقة ..؟

فاجابت فى تردد واضح ليضا كعادتها .. اقيم فى ماركيت شادويل وهى كما قالت قرية صغيرة قريبة من هذا المكان .. وفى هذه القرية فندق مكون من ثلاثة طوابق وهى إحدى نزيلاته وقد بادرت بسؤالى وهى مرتبكة

- وانت يا مايكل اين تقيم ..؟

- فقلت انا لا اقيم هنا .. واعترف ان إجابتى كانت غامضة بعض الشىء وخيم الصمت علينا مرة اخرى فقطعت الصمت بعد أن سرت رياح باردة بيننا هزت الأشجار وانا اقول لها فى حنان وعذوبة .

- هل تسمحين لى بالمشى معك كى يسرى الدفء فى اجسادنا هل معك سيارة ام ستعودين بالقطار.. ؟

- فاجابت .. لقد تركت سيارتى بالقرب من القرية .

وعاد الانفعال يطل على مظاهر وجهها الجميل فقلت،

- إذن لنهبط معاً هذا المنحنى ولنقصد القرية.

اومات براسها بالموافقة فهبطنا المنحدر معاً فى خطوات بطيئة وفى اثناء سيرنا بين الأشجار ظهر امامنا شبح من خلف إحدى الأشجار .. اه .. لقد كانت مسز لى التى رايتها فى اليوم السابق وقد بدا وجهها لى مخيفا عما سبق ان رايته حيث كانت ضفائر شعرها تتطاير على وجهها وقد قالت لنا فى حدة وخشونة - ماذا تصنعان هنا ايها العزيزان - ولماذا جئتما إلى هنا إلى اراضى الغجر؟

- فاجابت ليللى .. اود .. هل تعدينا على املاك احد يا سيدتى ..؟

- فقالت لى .. نعم فهذه المنطقة ملك الغجر واخشى ان يصيبكما شىء من لعناتهم فصدقونى لن تصيبوا فيها اى خير .

وبدت ليللى فى خجل وحرج من موقفها فقد كانت من ذاك النوع الهادئ الذى لا يميل إلى الافتعال والنقاش الحاد حيث اردفت تقول بهدوء

- لعنى اسفة جدا إذا كنا قد تجاوزنا املاك الغير فقد ظننت أن هذا المكان معروضا للبيع اليوم .

- فاجابت مسز لى - سوف تجلب هذه الأراضى المشاكل لمن يشتريها .. ثم انت فتاة جميلة فلماذا تقتربين من هذه المتاعب .. اسمعينى يا عزيزتى .. جمالك الفتان ليس فى حاجة إلى حوادث دموية ولعنات تصيبك فى مقتل ارجوك ابتعدى عن هنا.. واسمعى نصيحتى لك جيدا .

فقالت ليللى .. لكننا لم نصنع شيئاً هنا يحدث ضرراً لأحد.

- فتدخلت مقاطعاً حوارهما وانا اقول فى انفعال وحدة .

- اسمعى يا مسز لى .. لا تحاولى تخويف هذه الفتاة كما صنعتى معى امس والتفت إلى ليللى وانا اقول بنفس الحدة إن مسز لى لها كوخ فى هذه القرية وهى تقرا الطالع وتتنبا كما تزعم وتدعى بالمستقبل أليس كذلك يا مسز لى ؟

فاجابت فى ثقة وكبرياء .. نعم املك هذه الموهبة ولا داعى لأن تتهكم او تسخر بالقول من مهنتى فقد ولدت هذه الموهبة معى فنحن نملكها جميعاً وإن لم ننتبه لها .. دعينى يا بنيتى اقرا عليك طالعك وضعى بعضا من الفضة فى راحة يدى لأقرا لك حظك.

فاجابت ليللى .. لكننى لا ارغب فى ذلك ولا اؤمن به.

فردت مسز لى .. من الحكمة يا ابنتى ان تعرفى ما ينتظرك فى الأيام القادمة حتى تتجنبى المصائب والأهوال .

كنت اعرف ان اغلب الفتيات يرغبن فى معرفة الطالع وكنت انا اعطيهن بعضاً من نقودى لقراءة الطالع فقد كنت اشعر برغبة غريبة فى ذلك . وعلى اية حال فلم تنتظر ليللى ان امدها بالنقود فقد فتحت حقيبتها واخرجت نصف جنيه ووضعته فى يد العجوز مسز لى وبدات الأخيرة فى ممارسة مهام عملها . حتى صرخت صرخة مدوية وهى تقول :

- اه .. اسمعى ما سوف انطق به يا جميلتى ..

ونزعت ليللى كفها من يدها التى بدت فى عينى جميلة بيضاء ورقيقة وراحت مسز لى تمسك راحة يديها وهى تقول ماذا ارى الآن ؟ ماذا ارى ؟ وكعادتها القت يدها فجاة .. وهى تقول بعد ان احتقن وجهها .

- ابتعدى عن هذا المكان يا صغيرتى .. اذهبى غادرى ولا تعودى ثانية .. لا تعودين إلى اراضى الغجر وانا اعنى هذه المنطقة كلها ابتعدى .. ابتعدى فهذه اراضى ملعونة.

فقلت انا فى حدة .. هذا حمق وجنون مهما كان الأمر فهذه الفتاة لا علاقة لها بهذه المنطقة فقد جاءت إلى هنا بهدف التنزه فقط ليس الا ..

وابدت العجوز عدم اكتراثها بما اقول وهى تصرخ .. يمكنك ان تقضى بقية عمرك سعيدة هانئة بعيدا عن هذا المكان الخطير .. اذهبى بعيدا حيث

يحبك الناس .. وتذكرى نصيحتى هذه .. وإلا .. وإلا .. فانا اكره ان ارى ما رايته فى يدك يحدث لك ارجوك يا ابنتى الجميلة اسمعينى جيدا وفجاة القت بنصف الجنيه فى وجه ليللى وهى تقول : " هذا شىء رهيب .. مخيف .. فظيع .. فظيع" .

وانصرفت عنا فى خطوات سريعة والتفتت ليللى نحوى وهى تقول :

- إنها امراة اثارت رعبى وخوفى .

- فاجبت فى صوت قوى لا عليك يا عزيزتى إنها امراة مجنونة حمقاء فهى تريد ان تثير فزعك .

- ولكن قل لى يا مايكل .. هل وقعت هنا حوادث كثيرة ..؟

- إن الحوادث تقع فى اى منطقة ثم إن هنا منحدر ضيق وسبب ذلك تكاسل اعضاء مجلس القرية الذين لا يتحركون لتمهيده او حتى وضع اى علامات إرشادية لتجنب المخاطر والحوادث اليومية .

- هل المشكلة فى حوادث السيارات فقط ام ان هناك حوادث أخرى غامضة ؟ فقلت لها .. من عادة الناس ان يصدقوا كل شىء بسهولة خاصة الأساطير والخرافات واظن ان هذه الروايات التى يرويها البعض هنا تخلو من المنطق والحكمة .

- إذن فهمت لماذا ستباع هذه الأراضى بأثمان بخسة.

- قد يكون ذلك كذلك .. ولكنك لماذا ترتجفى هكذا يا عزيزتى .

واردفت اقول لها فى حنان الأب .. لا تخافى .. هيا بنا نسرع الخطى فى سيرنا ولكن هل ترغبين فى ان اتركك قبيل المدينة ؟

- فاجابت فى سرعة غير معهودة منها .. كلا .. كلا ولماذا تريد ذلك !؟..

فقمت بمحاولة لعلى استطيع ان املك مشاعرها وعواطفها .

- اسمعينى جيدا يا فينيلا سوف اكون فى قريتك غدا .. اود ان اعرف هل ستكونين هناك .. اقصد هل هناك فرصة لرؤيتك ..؟

وهنا شعرت بالخجل وعدم القدرة على الاسترسال فى الكلام باكثر من ذلك .. وقد التفت بوجهى بعيدا عنها وانا لا اعرف ماذا سأقول بعد ذلك فقالت هى تقطع صمتى وشرود فكرى وحيرتى

- نعم .. فانا لن اعود إلى العاصمة لندن قبل الليل .

فقلت، إذن .. اقصد .. اعنى .. إنها لوقاحة منى

- كلا .. لماذا تصفها بذلك ؟

- حسنا .. هل تلبين دعوتى لتناول الشاى فى مقهى (الكلب الأزرق) مثلا إنه مكان رائع رومانسى .. هادئ وجميل .. وبحثت عن كلمة اخرى فتذكرت كلمة امى التى طالما رددتها كثيرا امامى إنه مكان لائق يا عزيزتى .

فضحكت ليللى فى ثقة .. وهى تقول ، انا واثقة انه مكان لائق نعم ساحضر إليك فى تمام الساعة الرابعة والنصف هل يروق لك هذا الموعد ؟

فاجبت فرحا .. سانتظرك .. إننى سعيد .. سعيد جدا يا عزيزتى .

والواقع اننى لا اعرف لماذا انا فى هذه الحالة ولماذا كل هذا السرور ؟ وها نحن قد وصلنا إلى المنحنى الأخير وقلت لها وانا انظر إلى البيوت المرتفعة

- إلى اللقاء .. لنلتقى غدا .. ولا عليك مما ذكرته هذه العجوز إنها ترغب فى إرهاب الناس وتخويفهم للابتعاد عن هذه المنطقة .

- وعادت ليللى تسال فى خوف ، ولكن هل تظن انها صادقة فيما زعمت ؟

فاجبت .. كلا .. كلا لا اظن ذلك .

والحقيقة اننى كنت صادقا فيما اقول. فلم اكن قد رايت فيها ما ينبع الخوف فى نفسى منها كما رايت فيما بعد حيث اعتقدت انه مكانا جميلا ورائعا وهادئا، وهكذا تم لقائى الأول مع ليللى وفى اليوم التالى قصدت ماركيت شارويل وجلست فى مقهى الكلب الأزرق وسرعان ما وجدتها أمامى واحضر الساقى فنجانين من الشاى الساخن وتجاذبنا أطراف الحديث وإن كنا قد تعمدنا الابتعاد عن الأسرار الخاصة التى تتعلق بنا وفجاة نظرت فى ساعتها وهى تقول :

- أود .. إننى ينبغى ان انصرف لكى الحق بقطار الخامسة والنصف المتوجه إلى لندن ..

- فقلت : ظننت ان بحوزتك سيارة .

فارتبكت قليلاً .. وقالت إن السيارة التى كانت معى امس لم تكن ملك لى ولم تذكر لى اسم صاحبها فاشرت إلى الساقى واعطيته الحساب ثم عدت اقول لها .

- وهل يمكن ان اراك ثانية ..؟

فنظرت وهى تحدث فى المائدة لتقول بهدوء

- سوف ابقى فى لندن نحن أسبوعين .

فقلت .. حسنا لين .. ؟ ومتى .. ؟

وضربنا موعدا بعد ثلاثة ايام فى حديقة ريجنت والتقينا بالفعل وتناولنا طعام الغداء فى الهواء الطلق .. وترجلنا فى حديقة للكة مارى وقد افترشت الأرض وهنا بدانا الحديث فى شئوننا الخاصة .. نعم تحدثت انا عن سنوات الدراسة والأعمال التى مارستها أو بعضها وشرحت لها كراهيتى للاستقرار وكان عجيباً ان تبدى لى سعادتها عن هذا المسلك الذى انتقده الآخرين .

ونهضت تقول لى :

- إن الأمر بيننا مختلف .. بل مختلف جدا ورائع ايضا.

- فقلت مندهشاً : مختلف ؟ عن اى شىء وماذا تقصدين؟

- اقصد انه مختلف تماما .

- فبادرت بسؤالها .. هل انت ثرية يا عزيزتى..؟

- نعم .. انا فتاة ثرية جدا .. ولكن مسكينة.

وراحت تتحدث عن اهلها الأثرياء واصدقائها الأغنياء الذين يفرضون صداقتهم عليها، دون معارضة منها. كما تحدثت عن فشلها فى لقاء من تحب وترغب لفرض وصاية البعض عليها، وقد ذكرت لى ان أمها ماتت وهى طفلة، وان اباها قد تزوج بامراة اخرى، وهى لا تكترث كثيرا بزوجة أبيها. وانها سافرت إلى بلدان كثيرة، وقضت معظم حياتها فى أمريكا وخيل لى اننى استمع إلى قصة خيالية وقد تعجبت من فتاة مثلها تعيش كالغرباء او المضطهدين .. حيث ذكرت ان حياتها تخلو من المرح والبهجة وقلت فى دهشة .

- هل لك صديقات مخلصات، وماذا عن اصدقائك الشبان ..؟

فاجابت فى اسى وحزن : إن اسرتى تختار لى اصدقائى رغم اننى لا اميل لهم .

- هذا سجن .. منفى يا عزيزتى .

- نعم اشعر بذلك .

- ولكن لين اصدقائك المخلصين ؟

- لى صديقة تدعى جريتا .

- من هى جريتا إذن ..؟

- هى رفيقة لى جاءتنى فى البداية كوصيفة وكانت لى وصيفات كثيرات غيرها كانت هناك فتاة فرنسية عاشت معى سنة تعلمت منها اللغة الفرنسية .. ثم حلت علينا جريتا من المانيا فتعلمت منها الألمانية .. وهى تختلف عن الوصيفات الأخريات.

- فسألتها .. هل تحبينها حقاً ..؟

- نعم فهى تساعدنى وتدبر لى امور حياتى لانها تعد خطط كثيرة لكى اتصرف كما اشاء وهى تجيد الكذب، وما كنت استطيع المجىء إلى منطقة الغجر لولا كذبها ثم لانها تقيم معى فى لندن بينما تعيش زوجة ابى فى باريس وهى تكتب الخطابات باسمى إلى ابى وزوجته لكى يتأكدا اننى فى مكانى اعيش معها بينما انا اكون فى مكان اخر فسألتها .. وما شكلها ..؟

- فأجابت.. أود .. نعم .. جميلة شقراء طويلة القامة جريئة.

- قلت ، لا احب هذا النوع من الفتيات .

- فضحكت ليللى وهى تقول، كلا سوف تميل إليها وستحبها اننى واثقة من ذلك فهى تتمتع بذكاء خارق عجيب .

- كلا .. انا اكره الفتيات اللاتى تتمتعن بالذكاء العجيب كما اننى لا احب الشقراوات خصوصاً.. لاننى احب الفتيات الرقيقات ذوات الشعر الأحمر الذى يشبه أوراق الخريف .

- قالت ليللى .. هل انت تغار من جريتا ..؟!

- فقلت ، يجوز .. لأنك تحبينها كثيرا ..

- نعم انا احبها جدا، فهى قد احدثت تغيير مجرى حياتى .

- إذن هى التى اقترحت عليك الذهاب إلى منطقة الغجر ؟ انه مكان غامض لا يستحق الرؤية والتنزه فلماذا دفعتك إلى هذا المكان ..؟!

- فاجابت ليللى .. هذا سرنا الخاص (وبدت ليللى مرتبكة بعض الشىء).

- تقصدين سركما انت وجريتا معاً .. ارجوك افصحى لى عنه .

- كلا .. ينبغى ان تكون لى اسرارا خاصة .

- وهل تعلم جريتا اننا نلتقى معاً ..؟!

- انها تعلم اننى التقى مع احد الأشخاص ليس إلا فهى متأكدة اننى سعيدة .. واختفت ليللى اسبوعاً كاملاً لم اشاهدها فيه فقد عادت زوجة ابيها من باريس وبصحبة رجل تدعوه بالعم فرانك وعللت غيابها باستعدادات اسرتها لإقامة عيد ميلادها فى حفل ضخم تتحدث عنه لندن واردفت تقول ،

- لن استطيع الخروج قبل اسبوع وبعده سوف استطيع الخروج

- لماذا ..؟

- لأننى سافعل ما اريد ان افعله بعد ذلك

- فقلت .. بفضل اكاذيب جريتا كالعادة .

كنت اتعمد ان اثير ضحكها عند الحديث عن جريتا حتى قالت .

- إنك احمق لأنك تغار منها ولن قابلتها فسوف تميل لها وتحبها كثيرا . وسألتها عمن يكون فرانك هذا ؟ فاجابت ..

- الواقع اننى لا اعرف شيئاً عنه فيما عدا انه قد تزوج بعمتى وهو ليس من اقربائى الحقيقيين وبعد ان ماتت عمتى وقع فى مشاكل عديدة

فسألتها فى حدة .. اهو سيئ الأخلاق والسمعة..؟

فاجابت .. اوه .. كلا ليس كذلك ولكنه دائما يقع فى مشكلات مالية، وقد اعتاد رجال القانون على إنقاذه قبل ان يدخل السجن.

- فقلت ، إذن هو العضو الفاسد فى اسرتك ولدى شعور يتملكنى من اننى ساستطيع التفاهم معه بشان جريتا .

- فقالت ، إنه رجل ظريف سترق لك صحبته.

- فقلت ، ولكن هل تحبينه ..؟

- احبه ولكن اكره طريقته فى الحياة العملية وافكاره فى رسم مشروعاته، هل هو من هؤلاء الذين يجيدون رسم الخطط المستقبلية والمشروعات المالية ؟ فاجابت ليللى .. لا اعرف شيئاً عنه .. هو رجل غامض.

ولم الاحظ عليها لهفتها فى ان التقى مع اسرتها وهنا اقتحمت هذه النقطة وانا اقول .. اسمعى جيدا يا ليللى .. هل يروق لك ان التقى مع احد من افراد اسرتك ام ان هذا لا يعنيك الآن ؟

فاجابت .. كلا .. لا ارغب فى ان تلتقى مع احد منهم .

- هل انا غير اهلاً لذلك يا ليللى ..؟

- كلا لا اقصد ذلك .. فانا اخشى إثارة متاعب لا اقدر على مجابهتها .

- ولكن موقفى غير شريف ..

- لا عليك .. فانا كبرت بما فيه الكفاية .. ويمكننى الآن ان أختار اصدقائى كما اريد دون تدخل من احد فى هذا الشان .. صحيح لو علموا بأمرك لمنعونى من الخروج ولن اتمكن من مقابلتك فارجوك دعنا كما نحن على هذا المنوال .

- فقلت .. إذا كانت هذه رغبتك فلا مانع عندى ولكننى اخشى ان اكون مخادعاً .

- كلا .. انت لا تخدع احدا إننى احتفظ بصديق لبادله اطراف الحديث كما يحلو لى وابتسمت ابتسامة مشرقة وهى تقول .. استطيع ان ابنى لنفسى اوهاماً، وهى اوهام جميلة رائعة لا اريد ان اتخلى عنها . نعم لقد كانت صادقة فقد بنينا اوهاماً كثيرة فى شراء منطقة الغجر وبنينا فوقها قصراً حالماً رائعاً .. وهكذا اختفت ليللى نحو اسبوعا كاملا وقررت شراء خاتم صغير من الفضة اقدمه لها بمناسبة عيد ميلادها بكل ما معى من نقود والحقيقة انها احبت هذا الخاتم كثيراً بل بدت لى سعيدة به وقد قالت فى فرح .. إنه رائع حقاً..

يا إلهى لقد اعجبها هذا الخاتم الحقير وهى التى تتزين بالزمرد والأحجار الكريمة كما بدت لى فى معصمها وأصابعها ثم قطعت حيرتى وهى تقول ،

- إنه اجمل هدية فى عيد ميلادها .

ثم بعثت لى برسالة تشير فيها إلى سفرها إلى الخارج مع اسرتها. وبالتحديد إلى جنوب فرنسا عقب احتفالها بعيد ميلادها.

- كتبت تقول فى صدر رسالتها الرقيقة .. لا تقلق .. ساعود بعد اسبوعين او ثلاثة حيث سنسافر إلى نيويورك وسوف التقى بك بعد عودتى لأتحدث معك فى شىء اود ان افاتحك فيه .

وساورنى القلق عليها وسرعان ما عرفت أن ارض الغجر قد تم بيعها لإحدى الشركات فى اتفاق خاص وحين سالت المحامى المسئول عن عملية إتمام البيع والشراء لماذا رفض الإفصاح عن هوية مالكها الجديد أكد لى فى غموض انه رجل اعمال كبير يبغى رفع سعرها فى المستقبل .

الفصل السادس

وإذا تحدثت معكم عن امى فهى لا تزال تعيش فى بيتها الذى تقيم فيه منذ عشرين عاماً وهو كائن فى شارع كنيب لا يحظى بأية سمة جمالية إطلاقاً .. كانت واجهته بيضاء اللون ورقمه ٤٦ .

وضغطت على جرس المنزل ففتحت لى امى ووقفت تتأملنى طويلا أما هى فقد كانت كما هى.. طويلة القامة .. نحيفة .. صارمة .. متشككة .. إلا انها بدت رفيعة حانية وكانت دائماً على خلاف معى فى أسلوب حياتى تريد ان اتغير وراحت تقول:

- اهو انت ..؟

- نعم انا يا امى ..

وتراجعت خطوات قليلة للخلف وهى تقول :

- اين كنت ..؟ منذ مدة طويلة لم ارك ..!

- ابدا .. لم افعل شيئاً جديدا

- كعادتك دائماً طبعاً .

- نعم يا امى ليس لدى جديد .

- كم حرفة زاولتها منذ ان غادرت البيت ؟

- نحو خمسة اعمال يا امى

فنظرت فى اسى .. وهى تقول كم اتمنى أن تصبح رجلا يا ولدى

- انا رجل اخترت طريقى فى الحياة يا امى ..

- كلا .. ليس هناك تغير فى حياتك.

- لماذا جئت يا مايكل إلى هنا ..؟

- وهل يجب أن يكون هناك سبب لمجيئى يا امى؟!

- نعم يجب أن يكون هناك سبباً معقولا .

- لا افهم لماذا ترفضين رغبتى فى رؤية ارجاء المعمورة .

- وهل الطواف معناه ان تترك مستقبلك ..؟!

-كلا .. كلا .

- لقد اتصلت الشركة بك وابلغتنى انك تركت العمل فيها .

- ماذا يريدون ..؟!

- يريدون أن تعود للعمل معهم.

- نعم يريدوننى لأننى سائق ماهر وكل العملاء يحبوننى ولكننى كنت مريضا .

- هذا شانك وحدك .

وكان واضحاً انها لا تصدق حكاية مرضى المزعومة وقد سألتنى مرة اخرى .

- لماذا إذن لم تتصل بهم حال عودتك من لندن..؟

- لأننى التحقت بعمل اخر .

- أو نزوات جديدة وافكار وحشية ماذا عملت إذن وفى اى مجال ..؟

- اشتغلت فى محطة بنزين .. ثم ميكانيكياً ثم عمل كتابى ثم غسيل الأطباق .

- واجابت بعد شهقة .. اراك تهبط إلى الدرك الأسفل .

- كلا .. فهذا جزء من خطتى المستقبلية .

فتنهدت وهى تقول .. اترغب فى شراب شاى ام قهوة .

- فاجبت إننى ارغب فى احتساء القهوة لأننى تناولت شايا كثيرا ثم احضرت امى قطعة من الكعك واعطتنى اياها وامسكت بفنجان قهوتها وهى تقول .

- إنك تغيرت .

- انا .. ؟ كيف ..؟!

- لا اعرف ولكنك تغيرت .. ما الذى حدث لك

- لم يحدث شىء ولماذا تريدين ان يحدث لى شىء

- إنك تبدو منفعلاً .

- اه .. لقد سطوت على احد البنوك

- هذا عمل لا تقدر عليه ..

- ولماذا ..؟ إنه اسهل وسيلة للثراء .

- ولكنه عمل شاق يتطلب ذهن وجهد وانت كسول بطبعك

- هل تتصورين انك تعرفين كل شىء عنى ؟

- كلا .. ولكنى اعرف بعض الشىء عنك فانت مقدم على عمل خطير قد تكون فتاة ..اليس كذلك يا مايكل؟

- ولماذا توقعتى أن تكون فتاة ..؟

- لأننى اعتقد ان هذا امر لابد ان تتعرض له يوما ما ؟

- ولكنى التقيت مع فتيات كثيرات

- كنت تتسلى ولكنك لم تلتق مع فتاة تحبها وتجذب اهتمامك.

- إذن هل تعتقدين اننى مختلف اليوم فعلاً .

- نعم يا ميكى واظن ان فى الأمر فتاة أليس كذلك .

- نعم يا امى ..

- اى نوع من الفتيات يا ميكى ؟

- النوع الذى ابحث عنه منذ زمن .

- هل ستصحبها لتقدمها لى ؟

- كـــــــلا ..

- لمـــــــــاذا ..

- ليس كما تظنين ؟

- انت تخاف من ان اراها فاقول لك انها لا تصلح لك.

- ليس هذا هو السبب .

- نعم هو السبب فانت دائماً تعرف اننى صائبة فى آرائى وكم جربت انت معى هذا الأمر كثيراً (أليس كذلك)؟

- فضحكت وقلت .. ليتنى استطيع ان احبها يا امى .

- إذن لماذا جئت إلى هنا ؟ لتريد اموالاً كعادتك؟

- نعم اريد بعض المال .

- كلا .. هل تريده لكى تنفقه على هذه الفتاة..؟

- كلا .. إنما ارغب فى شراء ثوب جديد للزواج.

- هل ستتزوجها ..؟!

- إذا وافقت هى بذلك .

- واعتدلت امى فى جلستها وهى تقول ،

- اتمنى ان تصارحنى بالحقيقة يا ميكى لانك غامض تعشق الأسرار ولكنى اراك ارتبطت بها واخشى الا تكون قد احسنت الاختيار .

- كيف يا امى ..؟ كيف لا احسن الاختيار ..؟

- وانصرفت منزعجاً لمغادرة البيت وقد اغلقت الباب خلفى فى عصبية وعنف وانا اتمتم ببعض الكلمات الحادة الخشنة .

الفصل السابع

"ارجو انتظارى غدا فى الخامسة والنصف فى المكان المعتاد لنا" .. كان هذا نص برقية وجدتها فى مسكنى عليها خاتم بريد جزر الأنتيب .

وذهبت للموعد المحدد والتقيت مع ليللى التى كانت تتحدث بأسلوب يختلف عما سبق لها أن تحدثت به معى فأدركت من فورى أن شيئاً ما قد حدث فقد التقينا معاً كالغرباء ولا أدرى لماذا ارتبكنا فمن ناحيتى قررت مفاتحتها فى أمر زواجى منها ولكن كنت مترددا شأنى فى ذلك شأن كل شاب مقبل على الزواج .

اما هى فكما قلت كانت غريبة فى حديثها حتى ظننت أنها بقدر الإمكان تحاول فض علاقتنا بحيث لا تسبب لى حرجا يؤذى مشاعرى .

ولكنى سرعان ما طردت هذه الهواجس والخواطر فأنا على يقينى من حبها لى ولكن لماذا أثارت حيرتى بتصرفاتها الغريبة؟

آه .. قبل أن أنسى فإن ليللى كانت تكبرنى بعام واحد وهنا فى تقديرى لا يستدعى كل هذه المتغيرات .

على أية حال راح الصمت بيننا تنقطع أوصاله وحباله ثم قالت:

- مايكل .. لقد شاهدت القصر الجميل الذى حدثتنى عنه كثيرا هل تذكره ..؟ إنه القصر الذى بناه صديقك المهندس العبقرى .

-من ..؟ تقصدين سانتونيكس ..؟!

- نعم .. ذهبنا إليه وتناولنا فيه طعام الغذاء.

- كيف ؟ هل تعرفين صاحبه ؟

- تقصد ديمترى قسطنطين ؟ أنت لا تعرفه معرفة قوية ولكن جريتا هى التى رتبت هذه الزيارة الجميلة .

- فقلت وقد تضايقت مما سمعت .

- جريتا .. تانى ..

- لقد قلت لك انها فتاة جريئة ورائعة .

- هذا اكيد ولكن من كان معكما .

- زوجة ابى والعم فرانك ايضا .

- هل كانت حفلة خاصة بكم فقط وهل كانت جريتا معكم ؟

- كلا لم تحضر معنا فان كورا زوجة ابى لا تروق لجريتا إطلاقا .

- ربما لأنها فتاة من اسرة فقيرة .. مجرد خادمة.. او وصيفة .

- كلا فهى ليست وصيفة .

- لا تبالغين يا ليللى وتتواضعين فهى وصيفة وخادمة ومربية وسكرتيرة .

- لا عليك دع جريتا وشانها .. المهم اننى حين شاهدت القصر الذى بناه صديقك تمنيت ان يكون لنا قصرا مثله .

وهكذا باحت لى ليللى بما فى مكنونها نحوى فهى تقول (لنا) ثم اردفت تقول .

- لقد طلبت من جريتا تدبير طريقة لزيارة هذا القصر فى الريفيرا لمشاهدته لكن ابنى واحدا مثله كى يحقق لنا احلامنا التى رسمناها معا .

- فقلت فرحا وانا اتماسك من الفرحة .

- انا مسرور من إعجابك به .

- وانت يا مايكل .. ماذا صنعت ؟ .

- انا .. اوه .. انا .. انا راهنت على جواد فى سباق الخيل ودفعت جنيها وربحت ثلاثين فكما ترين فانا محظوظ يا عزيزتى .

- فقالت ليللى وهى تبتسم .. انا سعيدة جدا لأنك ربحت .

- قالت ذلك دون اهتمام حيث إن المبلغ الذى ربحته لا يمثل لها شيئا وإن كان بالنسبة لى يمثل ثروة هائلة .. هكذا نحن معشر الفقراء ثم عدت اقول بعد لحظات من الصمت الرهيب .

- اه .. على فكرة يا ليللى لقد ذهبت إلى والدتى .

- حسنا .. لقد تذكرت لماذا لم تحدثنى عنها كثيرا يا مايكل؟

- فقلت فى حدة .. ولماذا ترغبين فى أن اتحدث عنها ..؟

- فاجابت .. الا تحبها يا مايكل ..

فسكت فترة ثم اجبت فى حيرة .

- لا اعرف .. احيانا اشعر بالحب نحوها واحيانا اخرى لا أحس بذلك وعلى اي حال فلا يمكن لى ان اتخلى عنها.

فقالت ليللى .. ارى انك تحبها كما يبدو لى .

- ربما .. ولكن امى تعرفنى جيدا اقصد تعرف نقاط الضعف بداخلى .

- هذا طبيعى وانت يا مايكل فى حاجة لشخص يعرفك تمام المعرفة

- ماذا تقصدين بقولك يا ليللى ؟

- هناك مثل بريطانى شهير يقول ، الخادم لا تخف عليه اسرار سيده، وشكسبير يقول انه الخادم الوحيد فى الدنيا الذى يرى الملك عاريا على غير عادته امام شعبه واعتقد اننا فى حاجة إلى خادم يستمع إلى خبايانا وعيوبنا فيصلحها .

- اعتقد ان لك آراء غريبة يا ليللى .

وامسكت يدها وانا اقول لها بصوت خافت .

- هل انت تعرفين كل شىء عنى يا ليللى ؟

فاجابت فى ثقة .. اعتقد اننى اعرفك جيدا .

- ولكن انا لم اتحدث بالكثير عن نفسى يا ليللى فكيف إذن تقولين ذلك .. ؟

- رغم كثرة صمتك معى فانا اعرف اى نوع انت من البشر.

- كيف ؟ انا لا اظن انك تعرفيننى تمام المعرفة .. ثم هل تتهميننى بالحماقة إذا انا قلت لك اننى احبك وهو اعتراف متاخر .. نعم اعرف انك لاحظتى ذلك منذ اول لقاء جمعنا معاً اليس كذلك.

- المهم الآن ان نعرف ماذا سنصنع فالأمر ليس سهلاً او لينا يا ليللى فإننى من اسرة فقيرة وامى تقيم فى بيت يختلف تماماً عن بيتكم ومجتمعنا ادنى من مجتمعكم فكيف يا ليللى سنصنع مستقبلنا؟ كانت ليللى صامتة وتنظر إلى الأرض وهى تفكر ثم قالت بغير تردد.

- هل تسمح لى بلقاء والدتك ..؟

- نعم هذا امر طيب ولكن ما الذى ستضيفه هذه الزيارة إلى علاقتنا، اظن انها ستضيف اعباءً نفسية على كاهلك فانا كما قلت من اسرة فقيرة واصدقائى من الصعاليك على غير اهلك واصدقائك إنها مشكلة صعبة ومعقدة، فانا جاهل فقير وانت مثقفة وثرية فماذا اصنع ؟

- فاجابت ليللى ، اسمع يا مايكل سنعيش معاً فى بيت الأحلام بيت الأبراج فى اراضى الغجر سنعيش معاً وسوف يبنيه صديقك المهندس المعمارى سانتونيكس ولكن لى شرط واحد هو ان نتزوج اولاً واظن ان هذا هو ما تتطلع إليه.

- اجبت .. نعم .. وهذا اقصى ما اتمناه .. هذا إذا كان شعورك نحوى كشعورى نحوك .

- فقالت ، إذن سنتزوج الأسبوع القادم فقد بلغت الآن سن الرشد .

- بوسعى ان اصنع ما اشاء واظنك على حق فى مخاوفك وشكوكك بالنسبة للأهل والمهم الا تذكر شيئاً لأمك وانا ايضاً لن اذكر شيئا لأهلى حتى نضعهم امام امر بات محتوماً لا مناص منه.

- فقلت .. هذا رائع .. رائع يا ليللى ولكن هناك شيئاً يجب أن أحدثك عنه فإن اراضى الغجر قد تم بيعها .

فاجابت .. اعرف إنها بيعت وانا التى اشتريتها يامايكل .

قالت ذلك وهى تضحك ضحكة عالية، ترن بين أشجار الحديقة .

الفصل الثامن

اثناء هذا الحديث الذى دار بينى وبين ليللى ونحن نفترش كالعادة أعشاب الحديقة كانت هناك اسر تجلس بجوارنا يرصدون انفاسنا ويترقبون همساتنا ويطاردون نظراتنا ويتأملون سكوتنا ولكننا لم ننتبه لهم فقد كنا كالطيور السابحة فى فضاء الكون نحلق بأجنحتنا على الدنيا .. بل كنا .. كالزهور والورود المتفتحة التى تشع عبيرا أخاذا كنا كعاشقين حفظ التاريخ قصتهما .. كنا حالمين .. كنا نهيم معا ونتغنى ونرقص بأجنحة القلوب .. كنا نضحك فى الأعماق وإذا تلامست ايادينا اقشعرت ابداننا واحمرت وجوهنا .

وأمام هذه الصور الجميلة نهضت ليللى وهى تقول :

- اسمع يا مايكل عندى اشياء يجب ان اعترف لك بها .

- لا .. لا اود ان اسمع شيئاً حتى لو كانت لك علاقات جنسية فى الماضى او عاطفية فانا سعيد ولا اود سماع اى شئ ثم إننى لا ابالى بما تخفيه عنى .

- مايكل .. ارجوك تسمعنى فانا لم تكن لى علاقات عاطفية او جنسية إطلاقاً ولكن اود ان اوضح لك بعض ما لا تعرفه عنى .. انا يا مايكل ارسلت بعض المحامين لشراء الأرض وانا لا امتلك ثمنها حيث لم تتوافر معى الاموال لأننى لم اكن قد بلغت بعد سن الرشد وإننى لم اقل لك اننى قد ورثت عن جدى ثروة طائلة لا حد لها حيث كان يعمل فى حقول البترول قد تزوج كثيراً ولكن زوجاته توفين جميعاً ولم يبقى له غيرى انا وابى فقد قتل ولديه الآخرين فالأول مات فى كوريا والآخر مات فى حادث سيارة وهكذا ورث ابى ثروة طائلة وحين مات فجأة ورثت انا كل شيء وقد منح زوجته قبل وفاته ثروة لا بأس بها لذلك فهى لم ترث فيه بعد وفاته فورثت انا كل ثروته لذلك فانا من اغنى سيدات امريكا يا مايكل .

فاجبت قائلا .. يا إلهى ما هذا إننى لم اكن اعرف كل هذه المعلومات . لذلك فقد اخفيت عنك اسمى الحقيقى حين قلت لك ان اسم عائلتى هو جودمان ولكن الاسم الحقيقى حيوتمان ولعلك تذكر ذلك .

- فقلت ، نعم .. نعم اذكر شيئا من هذا القبيل .

- فقالت .. ولهذا اخفيت عنك حقيقتى وتحاشيت الحوض فيها معك .. هل تعرف يا مايكل اننى قبل بلوغى سن الرشد كانت زوجة ابى والعم فرانك قد جندوا بعض الحراسة والمخبرين السريين للاحقتى اينما كنت لدراسة أحوال اى انسان اتعرف عليه وهل يتواءم مع مركزى الاجتماعى أم لا ؟ لقد كنت اعيش فى سجن مكون من اربعة جدران .. سجن رهيب .. كئيب والآن .. الآن صرت حرة .. اصبحت طليقة افعل ما فى وسعى دون ان اكترث بشأن أحد ..

- فقلت لها .. احب فيك تواضعك وعفويتك رغم ثرائك الرهيب .

- فاجابت .. وانا ايضا احب فيك انك تعيش طبيعيا طبقا لظروفك دون ملل او تتطلع لأموال احد غيرك .

- فقلت .. الخلاف الوحيد بيننا إنك تدفعين ضرائب باهظة أما انا فلا ادفع ضرائب البتة فمن اين لى .. ها .. ها .. ها .. ها .

- قالت ليللى .. سيكون لنا بيتا جميلا .. فى اراضى الغجر .

وهنا احسست برعشة دبت فى يدها فقلت لها .

- حبيبتى ليللى .. هل تشعرين بالبرد القارص

فاجابت وهى تنظر للشمس .. كلا .

فقد كانت الشمس ساطعة واشعتها تغمر المكان الذى نفترشه .. لكنها تذكرت المراة الغجرية التى قرأت لها طالعها .. فقلت لها ،

- لا عليك .. إنها امراة مجنونة .. لا تفكرى فى امرها .

- هل تظن انها صادقة فيما روته عن لعنة الغجر فى هذه المنطقة

- لا اظن .. إنها اساطير من صنع الغجر اعتادوا عليها .

- ولكن هل لديك معلومات عن الغجر يا مايك ؟

اجبت صادقاً .. كلا .. لا اعرف عنهم شيئاً واذا كنت تتخوفين منها فلماذا لا نبنى لنا بيتا فى الريفيرا او اسبانيا او احد تلال ايطاليا وسوف يبنيه لنا صديقى المعمارى سانتونيكس.

- فقالت .. كلا .. اريد بيتا هنا .. فقد رأيتك اول مرة ويكفينى ان اتذكر دائماً وقوفك امامى وقد تسمرت قدمك وتعلقت عيونك على عينى وحملقت فيها .

فانا لن انس هذا ابدا .

- قلت .. وانا ايضاً يا ليللى لن انس هذه اللحظة ما حييت .

- فقالت .. لهذا فسوف نبنى بيتاً هنا .. وسيبنيه لنا صديقك سانتونيكس فقلت وانا فى اضطراب .. اتمنى ان يكون على قيد الحياة .. فقد كان مريضاً جداً حين لقيته آخر مرة .

- لا عليك .. اطمئن .. إنه على قيد الحياة .. فقد ذهبت لزيارته .

- تقولين .. ذهبت لزيارته .

- نعم حين سافرت إلى جنوب فرنسا، وكان نزيل إحدى المصحات الطبية .

- ليللى .. انت تثيرى دهشتى دائماً فى تصرفاتك .

- إنه رجل عبقرى لكنه مخيف يا مايكل .

- هل شعرت بالخوف منه .. ؟

- نعم لقد اخافنى كثيرا لسبب ما .

- هل تحدثتى معه عن قصتنا ؟

- نعم قلت له كل شىء عنا .. وعن اراضى الغجر وعن البيت الذى تريد ان يبنيه لنا فى اراضى الغجر وتمنى ان يسترد عافيته لرؤية المكان ووضع الرسومات الهندسية له وقد تاق لبناءه قبل ان يموت واخبرته اننى اتمنى ان يعيش حتى يرانى انا وانت ننتقل إليه .

- وماذا قال عقب سماعه ذلك ؟

- سالنى عن صدق نيتى فى الزواج منك فاجبته بالإيجاب طبعاً .

- حسنـــــا .. ؟

- قال إنه يتعجب إذا كنت انت على علم بذلك..؟

- اننى اعرف تماماً ماذا اصنع .

- قالت ليللى .. لقد اختتم المهندس حديثه معى وهو يقول ، "اخشى عليك يا ليللى من تغيرات مايكل فهو مازال صغير السن لا يقوى على البقاء والاستمرار فى مكان واحد ثابت .. نعم اخاف عليك من هذا الولد الشقى الصغير" فقلت لا عليك سوف يكون مايكل فى امان إلى اخر العمر .

كانت هى واثقة من نفسها وكنت انا متضايق من صديقى سانتونيكس فهو مثل امى .

وهنا قاطعت ليللى شرود ذهنى وهى تقول :

- لقد بدا العمال يرفعون انقاض البيت القديم وراحت تتكلم باسلوب رجال الأعمال .. حيث اردفت تقول:

- سيكون العمل شاقاً جدا بمجرد انتهاء المهندس من رسوماته وعلينا ان نسبق الزمن .. هكذا قال لى صديقك سانتونيكس ثم هل توافق على أن نتزوج يوم الثلاثاء القادم ؟ إننى أحب هذا اليوم يا مايكل .

- قلت .. هل سيوجد احد غيرنا هناك .

- فقالت .. ستكون معنا جريتا فقط .

- فصرخت فى وجهها .. فلتذهب جريتا إلى الجحيم .. إنها يجب الا تحضر زواجنا ويمكن لنا استدعاء أية شهود من أى مكان . والحقيقة أن هذا اليوم كان هو اجمل أيام حياتى على الإطلاق .

الفصل التاسع

هكذا تزوجنا انا وليللى فى هدوء وسكينة وكان ذلك جزء من الخطة التى رسمناها معاً كى نحقق احلامنا التى تحدثنا فيها معاً .. وعشنا مثل اى زوجين سعيدين سافرنا إلى كل انحاء الدنيا إلى اسبانيا وايطاليا والمانيا وسويسرا والنرويج احياناً بالطائرات واحياناً بالسيارات وفى الغالب بالسفن او اليخوت كنا فى نشوة لا نظير لها وراحت تتحدث بلهجة جديدة عن زوجة ابيها التى تزوجت كثيرا من شباب صغير السن، كانوا يتطلعون إلى ثروتها الطائلة، ثم تحدثت عن جريتا الوصيفة الألمانية وذكائها الخارق فى تدبير امورها واعمالها ثم حدثتنى عما سنتعرض له من مضايقات من أهلها اذا اخبروا بامر زواجنا وقلت لها ماذا سيفعلون بنا ؟

- فاجابت .. سيشتروك منى ؟

- فقلت ، كيف ..؟!

- فقالت ، بمئات الآلاف من الجنيهات حسبما يروق لك أن تبيعينى قالت ذلك وهى تضحك وشعرت بالإهانة فاحست بذلك وقد قالت : لا عليك يا مايكل فانا اعرف كم تحبنى ولكن الأمور دائما تتغير وقد حدث أن امرأة مشهورة كانت تسمى بملكة البترول قد تزوجت من شاب صغير كان يعمل حارساً فى إحدى شركاتها ثم راح يطلب منها اموالا طائلة نظير طلاقه منها .. هل سمعت عن هذه الرواية ..؟!

- نعم سمعت ولكن هل تظنيننى مثل هذا الشاب؟

فضحكت وهى تقول .. لا عليك يا مايكل .. اننا نتحدث دون أن نعنى ما نقول وعادت تقول المهم الآن اننا يجب ان نتفرغ لإنهاء بناء بيتنا الذى نعيش فيه بعد ذلك اعنى اراضى الغجر يا مايكل .

- فقلت .. اننى اتوق لذلك فقد كرهت رؤية الناس اننى أود أن أكون

معك بمفردنا بعيدا عن الفنادق والناس وارغب الا يشاركنى احد العيش معك.

- فقالت ، نعم سوف يكون بيتنا لنا فقط .

- فقلت ، وانا اتمنى ذلك .

- قالت ، ولكن جريتا فقط هى التى ستظل معنا .

- فقلت ، جريتا .. جريتا .. لماذا ستظل جريتا معنا لماذا ..؟

- فقالت .. جريتا انسانة رائعة وانت لم تلتق بها بعد وسوف تروق لك معرفتها وهى قادرة على تدبير كل امورنا خاصة إذا علم اهلنا بامر زواجنا فهى الوحيدة القادرة على إخراجنا من هذا المازق.

- قلت ، ولكنهم سينتقمون منا .

- فاجابت .. كلا انها تعرف كيف تتخلص من تلك الأزمات دون ان تتعرض لشيء يعكر صفوها ثم لا تنس انها معى منذ اربعة سنوات وهى المسئولة عن إعداد كل شيء فى حياتى.

- ولكن اريد ان نظل معاً دون ان يزعجنا احد .

- تاكد يا ما يكل ان جريتا لن تسبب اى إزعاج وسوف تميل لها .

- لا اظن اننى ساميل لها إطلاقاً .

- لا تنس انها تعمل معى وانها ستواجه مشكلات إذا انا تخليت عنها وتركنا هذا الموضوع المستفز لنتفرغ لعبارات الحب والهيام والإعجاب التى لم تنته!

ولكن ما لثار حيرتى هى حياة الأثرياء الباهظة فقد كنا ننفق فى كل مكان دون حساب وهنا شعرت ان الأغنياء لا يعرفون كيف يقضى الفقراء يومهم بل إن الفقراء التعساء ايضاً لا يفهمون كيف ينفق هؤلاء

اللاعين اموالهم بسهولة ويسر لقد انفقنا اموالاً طائلة لم اكتسبها فى حياتى انفقناها فى عدة ايام يا إلهى ما هذا البذخ ؟ ما هذا الثراء الرهيب ؟!

وفى إحدى رحلاتنا التقينا مع سانتونيكس فى اليونان كان يعيش فى كوخ صغير يملكه احد الصيادين وكان قريباً من البحر وافزعنى هذا الكوخ الكئيب وكان هو مريضاً جدا وقد بادر بالقول وهو يسعل .

- إذن تم زواجكما ..؟!

- فاجابت ليللى .. نعم وسنعيش فى البيت الذى ستبنيه لنا .. اليس كذلك ..؟

ثم التفت نحوى وهو يقول بصعوبة ،

- الرسومات معى هنا .. إنها اخبرتك اليس كذلك ؟

- لقد قالت لك كيف بحثت عنى واصدرت أوامرها بالعمل .

- فتدخلت ليللى .. لكنها لم تكن اوامر بل كانت مجرد توسلات .

- قلت، هل اخبرتك اننا اشترينا المكان ؟

- فاجاب .. نعم لقد اخبرتنى وابرقت لى بنحو عشر صور .

- فتدخلت ليللى ثانية .. يجب عليك ان ترى المكان بنفسك فمن يدرى لعله لا يروق لك .

- فاجاب .. ولكنى رايته يا فتاتى .. فقد خرجت من قصرى المنيف وقابلنى احد رجالك القانونيين وهو رجل سمين اعتقد انه إنجليزى .

- تقصد مستر كراوفورد ؟

- نعم والواقع اننا بدانا الإجراءات الأولية فى البناء .. اقصد تمهيد الأرض ورفع الأنقاض ووضع الأساس والبنية الأولية الأساسية وسوف أزوركما فى لندن عقب عودتكما إلى هناك .

- واخرج من حقيبته رسومات البيت التى صممها بالألوان المائية كما صمم التركيبات الهندسية وكل ما له بها صلة وقد سالنى .

- هل يروق لك ذلك يا ما يكل ..؟

- فقلت بعد تفكير عميق .. نعم هذا ما اردت ان اعيش فيه.

- لقد تحدثت عنه كثيرا يا مايكل حتى عرفت ماذا تريد .. لاحظت منذ عام ان هذا البيت يحركك ويتملكك .. وكنت تتمنى ان ترفع قواعده. كان حلماً كبيراً عسير المنال ولكنه تحقق يا فتاى العزيز .

- فقالت ليللى .. ولكنه سيبنى الآن .. اليس كذلك ؟

- فاجاب هذا امر يعود إلى صحتى وما يريده الله لا أحد غيره .

- فسالته . هل صحتك فى تحسن يا سيدى ..؟

- الحقيقة ان صحتى ليست فى تحسن كما ترى .

- دعك من هذا يا سنتونيكس إن العلاج موجود ولا تكترث بكلام الأطباء اللاعين قساة القلوب.

- اننى معجب بتفاؤلك يا مايكل ولكن صحتى تتدهور كل يوم عن سابقه .

- فقالت ليللى ، انت رجل شجاع

- كلا .. لست شجاعاً .. ثم ما دور الشجاعة امام الموت ؟

- وغادرنا المكان بعد ان اقرعنا المهندس بنصائح سخيفة عن معنى الحياة والأموال وقد ظهر لى ياسه من الحياة .. وكراهيته للناس وللدنيا حيث باح بانه من السهل عليه وهو يعرف انه سيموت بعد شهور قليلة انه يتمنى أن يقتل بعض الناس وحين اخبرته انه سيحاكم وسوف يكون سجينا ما تبقى له من عمر. فاجاب فى حدة يسجوننى كم شهر اننى من الممكن أن

اموت بعد ستة شهور واحقق ما اود ان احققه . كان مخيفا مرعبا وما فى شك ان هذا الخوف قد انتقل بدوره إلى اوصال ليللى التى تملكتها رعشة رهيبة .. وهى تقول اثناء عودتنا بالسيارة ..

- الم اقل لك اننى اخاف من هذا الرجل .

- فقلت .. ولماذا تخافين منه ؟

- قالت .. الم تسمع ما قاله ؟ انه يرغب فى ممارسة القتل.

- لا عليك فهو فى حالة حرجة وقد اصابته لوثة .

- اخشى يا مايكل .. اخشى ان يذبحنا انا وانت.

- ولماذا سيفعل بنا ذلك .. انت تثيرى خوفى يا ليللى .

- تخيل يا مايكل لو ان هذا الرجل قد فرغ من بناء البيت ثم دخل معنا واغلق ابوابه التى يعرفها جيدا ثم ذبحنا .

- فقلت .. وانا اشعر بالخوف مما تقول ،

- اوه .. انها لعنة الغجر التى اصابت ظنونك وخيالاتك يا ليللى .

- كلا .. بل اشعر انها حقيقة .. حقيقة يا مايكل .

الفصل العاشر

اثناء تجوالنا بالسيارة فى شوارع العاصمة أثينا وأمام أحد الفنادق الفخمة الشهيرة اندفعت إحدى السيدات نحو ليللى وقد احتضنتها وصافحتها وتبادلا معاً أطراف الحديث السريع كانت هذه السيدة ضمن أحد الأفواج السياحية وأرادت ان تختم حديثها للحاق بالفوج الذى بدأ يختفى من أمام عينيها .. ولكن سمعت من حديثها بعض الكلمات التى تعبر عن الدهشة من هذا اللقاء العجيب والذى جاء على هذا النحو .

- أود .. يا إلهى انت ؟ لم اكن اتخيل هذا ليللى جيوتمان؟ ما الذى جاء بك إلى هنا ؟ حقاً إنها مفاجأة ؟ هل جئت ضمن فوج سياحى؟

- فأجابت ليلى كلا جئت هنا منذ أيام بمفردى.

- انا سعيدة لرؤياك يا ليللى وماذا عن صحة كورا ؟ هل هى معك هنا؟

- هى بخير .. ولكنها الآن فى سالزبورج .

- حسناً .. حسناً ..

وفجأة كأن هذه المرأة قد انتبهت لوجودى فقد رمقتنى بنظرات تساؤل ودهشة حتى إن ليللى قد فهمت على الفور مغزى هذه النظرات فقالت لها ،

- آه .. نسيت أن اقدم لك مستر روجرز وهذه مسز بنجتون. وسألتنى هذه السيدة فى كلمات سريعة رشيقة.

- كيف حالك يا مستر روجرز ؟ هل ستبقين هنا بضعة أيام أخرى ؟

- ولم أشأ أن أجيب فلم تترك فرصة للإجابة التى كانت من نصيب ليللى التى قالت لها .. كلا .. كلا إننى راحلة غداً .

- اود .. عفوا يا ليللى يجب ان اتركك الآن حتى لا افقد الفوج الذى ارافقه .. كم كنت اتمنى ان التقى بك هنا مرة ثانية لتناول الشراب .

- ولنا ايضاً كنت ارغب فى ذلك ولكن ضيق الوقت يحول دون إتمام لقائنا واستأذنت السيدة فى الانصراف وانطلقت كالسهم نحو الفوج السياحى وهبطنا درجات سلم الفندق بعد انا كنا قد صعدنا عليه عدة درجات وقد قالت ليللى .

- حسناً .. هذا اللقاء سوف يحسم الأمر .

- اى امر تقصدين يا ليللى .

- لا عليك .. فانا افكر الآن فى ان اكتب خطاباً الليلة إلى كورا وللعم فرانك وللعم اندرو ايضاً .

- سمعت عن كورا وفرانك ومن يكون إذن العم اندرو هذا الذى لم اسمع عنه؟

- هو اندرو ليبنكوت .. والحقيقة انه ليس عمى لكنه الوصى على تركتى او المحامى المسئول عن إدارة أملاكى لحين بلوغى سن الرشد وهو محامى مشهور بل من اشهر المحامين على الإطلاق .

- وماذا ستقولين لهم فى خطابك ؟

- سأقول لهم الحقيقة .. حقيقة زواجى منك الم تلاحظ اننى انكرت صفتك كزوج امام مسز بنجتون وهو ما اللى حقيقة.

- ولماذا لم تخبريها اننى زوجك يا ليللى ..؟!

- كان عسيرا على نفسي ان اخبرها قبل ان يعلم اهلى بذلك وإلا كانت فضيحة مدوية تصيبهم فى مقتل خاصة إذا علموا بامر زواجى من احد غيرى والمفروض ان يعرفوا بحقيقة الأمر منى اولا ثم إننا قضينا وقتا طويلا ممتعا ولنستعد للمعركة القادمة .

- ولماذا تتوقعين انها ستكون معركة ..؟

- بالطبع يا مايكل فإنهم سوف يثورون وينددون ويفتعلون المشاكل معى ولكن تأكد اننى لا اعبأ بأمرهم وإن كنت اظن انهم سيتظاهرون بالحكمة حتى نلتقى معهم فى نيويورك فهل انت مستعد لهذا اللقاء ؟

- كلا .. انا لا اميل إلى عقد هذا اللقاء المشحون بالتوتر .

- إذن ينبغى ان ادعوهم للمجىء إلى لندن للقائك.

- كلا .. فانا لا اريد ان التقى باحد منهم .

- سنعود إلى إنجلترا وسوف نلتقى بهم ولا تعبأ بهذا اللقاء يا مايكل .

- اعبأ بماذا ؟ تقصدين افراد اسرتك ..؟

- نعم وأرجو منك الا تهتم بما سيقولونه لك .

- يبدو ان هذه هى ضريبة زواجى منك فاطمئنى فسوف اتحلى بالصبر ثم قالت ليللى بعد فترة من الصمت الذى خيم علينا .

- ثم لا تنس ان والدتك هناك ويجب ان التقى بها.

- أستحلفك بالله يا ليللى الا تفكرى فى هذا اللقاء معها فأين هى من امك .. فأمى فقيرة وامك ثرية .. . لن تستطيع أمى ان تتحدث معها فى اى شان فلا داعى لأن تسببى لها حرجاً لا تقوى على مجابهته.

- مايكل .. إن كورا ليست أمى ولكنها زوجة ابى وبالتالى فلا ضرر من هذا اللقاء .. ثم ارجو الا تزعجك الفوارق الطبقية بيننا يا مايكل .

- فقلت بعد ان تضايقت من العبارة الأخيرة .

- انا.. ؟ لا اعرف ماذا اقول هل عندك مصطلح امريكى للرد على هذا الكلام إننى حتى الآن لا اعرف اى الملابس ارتديها عند كل مناسبة .. كما لا ادرى كيف اتصرف داخل هذه المجتمعات .

- لماذا لا يروق لك لقائى مع أمك .

- دعى أمى وشانها فهى تختلف تماماً عن أسرتك ارجوك يا ليللى .

- كلا .. إننى يجب أن ازورها عند عودتنا إلى بريطانيا .

- فصرخت اقول .. كلا .. كلا .. لن يتم هذا اللقاء ..

- ولم لا .. إنها وقاحة منى إذا لم ازورها يامايكل ماذا ستقول هى عنى ؟

- انا لم اخبرها بأمر زواجى .

- لماذا ترفض ان تخبرها يا مايكل ..؟

فسكت ورفضت ان اجيب عن سؤالها وقد عادت تقول ،

- اليس من الأفضل ان تخبرها بشأن زواجى منك وان تعدها بلقائى معها .

- كلا .. كلا ..

وتمالكت ليللى اعصابها بينما كنت ابدو هائجاً فقالت مرة أخرى ،

- لماذا لا ترغب فى إتمام هذا اللقاء ..؟!

ولم اعرف كيف افسر لها موقفى من هذا الأمر السخيف حتى قلت ،

- إن امى سوف تسىء معاملتك وستجلب لك التاعب ولا داعى لذلك فهمت .. قالت تقصد انها لن تميل إلى ؟

- كلا .. فمن يراك يجب ان يشعر بالميل والحب نحوك وهذا لا أخشاه ولكن اخاف ان تقسو فى معاملتها نحوك فينبغى الا تنسى انى تزوجتك دون ان اخبرها بذلك وهى من الجيل القديم الذى لا يقبل ذلك بل ولا يصفح ابدا عن هذا الخطا .

- فى ظنى ان هذا الأسلوب فى الوقت الحاضر قد عفا عليه الزمان

- انت واهمة يا ليللى .

- نعم .. هذا صحيح ولكن ترفض والدتك ذلك إذا انت ارتبطت بفتاة فقيرة لا تشد ازرك او تساعدك على أعباء الحياة .

- تقصدين اننى فزت بامراة غنية لذلك لن تعترض .

- نعم يامايكل .. فالمال هو الذى يثير إعجاب كل الناس واحترامهم ولا يبحثون عن مشروعيته ومصدره.

- وانا اوافقك فى ذلك يا ليللى فهذا ما اؤمن به فعلا . ولكن على أية حال لا داعى لزيارة أمى .

- ولكننى ارى انه امر سخيف الا اذهب لزيارتها .

- كلا .. انا اعرف امى اكثر منك انها غليظة وعنيفة.

- ولماذا لا تخبرها بأمر زواجنا ..؟

- لك ما تريدين .. سوف ابعث لها بخطاب عاجل بهذا الشان . وبالفعل فقد بعثت بخطاب لأمى جاء فيه ،

"امى العزيزة .. اعرف اننى كنت وقحاً فى عدم ابلاغك عما قمت به منذ ثلاثة أسابيع .. لقد تزوجت يا امى وقد حدث ذلك فجاة وعروستى فتاة جميلة جدا وعلى جانب واسع من الثراء ورقيقة إلى ابعد مما تتخيلين وسوف نعود إلى لندن لبناء بيت فى الريف ولكننا الآن فى اوروبا لقضاء شهر العسل .. تمنياتى لك بالسعادة والصحة .. ابنك المخلص مايكل".

وكانت مفاجاة لى بحق ان اتلقى خطابا من والدتى ردا على رسالتى إليها وكتبت تقول: "عزيزى مايكل .. اسعدنى خطابك.. اتمنى لك موفور السعادة .. أمك التى تحبك دائما" . وسرعان ما تلاشت سعادتى بهذه الرسالة

الرقيقة التى لم اكن اتوقعها فقد انقلبت الدنيا على كاهلى انا وليللى حيث بدات الصحف البريطانية كعادتها فى سرد قصة زواجنا الأسطورية وبدات التقارير الصحفية الكاذبة تتحدث عنا باشياء غريبة لم تحدث كلها تشير إلى الأميرة الهاربة التى هى زوجتى مع شاب صعلوك هو انا وهذه هى عادة الصحفيين الإنجليز اللاعبين الذين يعشقون سرد القصص الخيالية الملتهبة لتوزيع صحفهم ولكن لم نعبا بذلك فقد كان شغلنا الشاغل هو امر أسرة ليللى الذى نخشى منه وعلى الفور حال عودتنا إلى لندن التقى بنا العم اندرو لينتكوت الوصى على ليللى وقد كان رجلاً طويل القامة خشن الطباع .. وسيم يتحدث بإنجليزية طليقة يتحلى بالرقى عند حديثه مع ليللى عرفت انه من مواليد بوسطن الأمريكية، ولاحظت ان ليللى كانت منفعلة بعض الشىء وإن تظاهرت بالتماسك امامى وبدا الرجل فى حديثه الراقى وهو يخاطب ليللى :

- ما هذا يا ليللى .. إنك اكثر من رائعة بل انت قد ازددت جمالا وبهاء .

- كيف حالك يا عمى ؟ وكيف جئت إلى هنا؟

- جئت إلى هنا بالباخرة كوين مارى وكانت رحلة جميلة رائعة اهذا هو زوجك يا ليللى .

- نعم يا عمى .. هذا هو مايكل روجرز زوجى .

ونهضت من مكانى لأرحب به وانا اقول .. اهلاً بك يا سيدى .. كيف حالك ..؟

ثم سالته هل يرغب فى شراب شيئاً ما إلا انه رفض وراح يجلس فى مكان قريب منا وزاغ بصره علينا طويلاً وهو يقول :

- الا تعرفان .. انكما تسببتما فى مشكلات عديدة لنا جميعاً .

فاجابت ليللى .. اشعر بذلك وانا فى خجل واتاسف لكم يا عمى .

فقال لندرو ، اتشعرين بالأسف حقا .. ؟

- نعم الا تشعر انت بذلك يا عمى .. ؟

- انا لا اوافق على هذا الأسلوب يا ليللى ..

- ولكنك تعرف اى اسلوب آخر كان يمنعنى من تحقيق رغبتى وسوف يعارضون إتمام زواجى من مايكل .

- ولماذا كانوا سيعترضون ..؟

- انت تعرفهم جيدا يا عمى بل انت ايضا كنت ستقف ضدى

- لقد وصلنى خطابان من كورا منذ ان عرفت الأمر .

- ثورة كورا امر متوقع وهذا طبيعى فى مثل هذه الأحوال

- ولكننى حرة .. فيما اصنع اتزوج ممن اشاء وارفض من اشاء .

- هذا رايك .. ولكن ذلك ليس من السلوك القويم لأى فتاة يبدو انى سببت متاعب لكم بالفعل .

- نعم هذا صحيح . ولقد ساعدك فى ذلك شخص كنا نثق فيه .

- اعرف من تقصد ولكننى قد بلغت سن الرشد

- لا تنس ان الخدعة بدات قبل بلوغك سن الرشد .

- فتدخلت وقلت ، لا ينبغى ان تلوم ليللى يامستر اندرو فانا أجهل كل شىء عن معيشتها وحياتها اثناء تلك الفترة التى اشرت إليها حيث كان جميع افراد اسرتها خارج لندن وتعذر علىّ الاتصال بهم فاجاب اندرو .. لقد خدعتنا جريتا التى ارسلت بخطابات مزودة بمعلومات خاطئة لتضليل كورا رضوخاً لأوامر ليللى، وهل التقيت مع جريتا يامايكل..؟!

- كلا .. لم التق بها إطلاقاً .

- فنظر مندهشا .. كيف وقد كنت اظن انها حضرت مراسم زواجكما .

- فقالت ليللى ، نعم لم تكن حاضرة معنا .

- وحدق مستر اندرو بعينيه فى وجهى حتى اننى شعرت بالارتباك وقال بعد لحظات .. اظن ان عليكما ان تتحملا توبيخ الأسرة بصبر وهدوء فاجابت ليللى .. اتوقع ان صاعقة ستحل علينا من جانبهم .

- فقال اندرو .. هذا امر وارد ولكننى قد هيأت لكما الأمر وأوضحت الصورة فاجابت ليللى .. إذن انت فى صفنا يا عمى .. ؟

- فقال الرجل .. من الصعب على رجل فى سنى ان يعترض على امر واقع . خاصة إذا كان نتاج قصة حب ملتهبة، وقد علمت انك اشتريت قطعة ارض فى جنوب إنجلترا وإنك سترفعين عليها قصرا فارها ..

- فقلت ، نعم إننا نريد ان نقيم فى بريطانيا فهل هناك اعتراض لذلك ان ليللى قد تزوجتنى وبزواجها اكتسبت الجنسية الإنجليزية ولا يوجد ما يمنع وجودها معى فى إنجلترا .

- فاجاب ، نعم ليس هناك مانع إطلاقا .. فهى تستطيع ان تختار ما يروق لها كما يجب ان يكون لها بيت فى كل دولة .. ثم الا تعرفين يا ليللى ان لك بيتا فى ناسوكما ..؟

- كلا انا اعرف انه ملك لكورا .

- انت صاحبته شرعيا بل ولديك بيت آخر فى لورنج ايلاند .. بل وتملكين عددا كبيرا من حقول البترول فى الغرب .

كنت اشعر ان اندرو يريد ان يفهمنى حقيقة ثرائها الفاحش من اجل ان يسيل لعابى وإلا لماذا راح يسرد كل ممتلكاتها أمامى عامدا . قد يظن اننى ساسعى للحصول على النفقة كما يفعل غيرى لا اعرف ثم إننى لست واثقا

من نواياه فربما كان يريد ان يثير اعصابى كرجل فقير طامع فى ثروة زوجته .. ربما أراد ذلك .

ونهض من مقعده ومعه حزمة أوراق ومستندات قانونية وهو يقترب من مقعد ليللى وهو يقول كل هذه الأوراق يجب أن ندرسها معا للتوقيع عليها .. فاجابت ليللى .

- نعم .. فى اى وقت تحب يا سيدى ..؟

- لا داعى للتسرع .. فانا فى اجازة هنا لمدة عشرة ايام .

- فتضايقت .. عشرة ايام سيظل هذا الرجل يلاحقنا يا إلهى .. ثم انه لم يظهر إعجابه بشخصى وقد بدا لى خصما إلا إذا كان من الرجال الذين لا يظهرون إعجابهم لأحد وانناء شرودى سمعته يقول لليللى ..

- والآن بعد ان تفاهمنا على خطواتنا القادمة يجب ان تتحدث مع زوجك .

- فقالت ليللى ، يمكن ان تتحدث معه هنا .

- ولاحظت انها منفعلة على غير عادتها وقلت لها مطمئنا .

- لا عليك .. لا تخافى يا ليللى .. لست صغيرا هكذا يا حبيبتى ..

- ورافقتها إلى غرفة نومها .. وانا اقول لها بصوت خافض .

- إن العم اندرو يريد ان يتحقق من صدق نيتى فى الزواج منك ليجمع رأيا عاما حول شخصى واظن ان هذا حقه .

وقفزت إلى فراشها قلقة وعدت انا إلى غرفة الضيوف الفسيحة لاجلس على مقعد امام اندرو لأصغى لأسئلته المنتظرة وقد بدات قائلا

- تفضل .. يا سيدى انا كلى آذان صاغية .

- فقال فى ادب .. اشكرك يا مايكل .. قبل ان اتحدث عليك الا تظن اننى خصماً لك كما ظننت .

- قلت .. اشكرك ويسعدنى سماع ذلك .

- فقال .. دعنى اكون صريحاً معك .. وقد تكون صراحتى معك باكثر من صراحتى مع هذه الفتاة الرقيقة التى تفيض بالطيبة والحنان والرقة.

- اطمئن يا سيدى فانا ايضاً احبها مثلك وربما اكثر .

- نعم اعرف ذلك ولكنى ينبغى ان تعرف انها سريعة العواطف والتأثر .

- إنها رائعة يا مستر اندرو وانا ساعرف كيف ساتعامل معها .

- ليس هذا ما قصدته .. إنما كنت اتمنى ان تتزوج هذه الفتاة باختيار من خلال اسرتها ومن نفس مركزها الاجتماعى .

- فقلت .. فهمت تقصد شاباً نبيلاً .

- كلا .. ليس هذا فقط .. بل من نفس طبقتها ومن نفس مستواها الثقافى والاجتماعى ويكون جديراً ومع ذلك عليك ان تعرف ان جدها بدأ حياته عتالاً فى الجمرك ثم مات وهو اغنى رجال العالم .

- فقلت ، ربما استطيع ان اسلك منهجه وقد اصير فيما بعد اغنى اغنياء بريطانيا .

- كل شىء جائز إذا توافر لديك هذا الطموح .

- لا اقصد المال يا مستر اندرو بل اقصد اشياء اخرى .. اقصد ..

وتوقفت عن الكلام بدون سبب حتى بادرنى قائلاً ،

- جميل منك ان تكون طموحاً .. هذا امر حسن.

- إننى بدأت بداية غريبة .. من قاع السلم وكنت نكرة لا امثل شيئا .

- حسناً يا مايكل .. احب فيك صراحتك ووضوحك فانت تعلم اننى مسئول عن ثروة ليللى التى حملنى إياها جدها قبل ان يموت لهذا فانا حريص على سماع الشخص الذى تزوجته واعتقد ان هذا لا يزعجك .

- نعم هذا حقك .. بل يمكنك ان تتحرى عنى لتعرف كل شىء .

- سافعل ذلك فهو إجراء طبيعى وإن كنت ارغب فى سماعك فانا احب ان استمع إلى كل ما فى حياتك .

والحق اننى شعرت بالضيق فإذا تحدثت عن نفسى فسوف اذكر كل ما فى نفسى من خصال المروءة والخير وهذه صفة لازمتنى منذ صغرى .

فهل افعل كما يفعل نجوم المجتمع فى إظهار تواضعهم وحياتهم العسيرة وكيف بلغوا قمة المجد والشهرة ام اذكر له طبيعة اعمالى التى اشتغلت بها ام احكى له قصصى الغرامية مع فتيات لندن لأتفاخر بها أم اذكر له كوامن الشر فى داخلى ام ابرز النقاط المضيئة التى تشع فى عقلى وقلبى ؟ اعتقد ان هذا خيراً لى وقد انجح فى كسب ثقته ولكن بعد تردد ذكرت له الحقيقة وبدأت بما هو شائن فى حياتى فقلت له.. كان والدى عربيداً مخموراً من شراب الكحوليات ووالدتى امرأة مكافحة فى الحياة قامت على تربيتى وتعليمى واننى ذقت الجوع والمرار والعذاب بسبب كراهيتى للاستقرار فى اى عمل دائم . كان اندرو هذا يسمع ويدون ملاحظاته ثم يعود فيسأل فى دهاء وذكاء لعلى اقع فى الفخ الذى دبره لى والحقيقة اننى كنت فى غاية الحذر والحيطة منه ونجحت فى إفشال مخططه ثم راح يقول لى ،

- إنك كما سمعت تعشق المغامرات يا مايكل .. حدثنى إذن عن قصة البيت الذى تنوى بناءه مع ليللى .

- إنه يقع بالقرب من مدينة تسمى ماركيت شادويل .

- اعرفها .. وقد ذهبت لرؤيته امس فقط .. وعرفت انه رجل غريب الأطوار يعشق هو ايضاً ممارسة دور رجال الشرطة وقد قلت له فى اقتضاب.

- انه مكان جميل .. وسوف يكون بيتاً رائعاً سيبنيه لنا المهندس العبقرى سانتونيكس فقاطعنى اندرو وهو يقول ، اعرفه انه مهندس مشهور جدا .

- هل بنى قصوراً فى الولايات المتحدة الأمريكية ؟

- نعم وهو مهندس عبقرى ولكن المشكلة أن صحته ليست على ما يرام.

- نعم وهو يظن انه اوشك على الموت وقد أخبره الأطباء بذلك وإن كنت لتوقع له مزيداً من العمر الطويل .

- اتمنى أن يكون تفاؤلك فى محله .

- وانا فعلاً اتمنى له موفور الصحة والعافية .

- على أية حال فهى صفقة رائعة إنها اراضى جميلة يا روجرز وقد تشاورت مع مستر ادفورد بشأنها،

- فقلت متعجباً .. مستر ادفورد ؟

- نعم .. المستشار بمكتب ريس وكرافورد للاستشارات القضائية والقانونية وهو الذى عقد الصفقة وهو للعلم محامى مشهور وقد اكد لى انه اشتراها بثمن ضئيل وحين سألته عن سبب بخس ثمنها ارتبك بعض الشىء فهل عندك جواب لهذا الارتباك يا مايكل ؟

- فقلت ، يقال إن هناك لعنة تطارد هذه الأراضى المملوكة للغجر .

- فاعتدل فى مقعده وهو يقول .. عفواً يا مايكل .. ماذا تقصد ؟

- يقولون إن هناك لعنة تطارد كل من يزور هذا المكان أو ينوى الإقامة فيه وهى لعنة معروفة باسم لعنة الغجر .

- هل هناك قصص مؤكدة تتعلق بها .. ؟

- نعم هناك قصة رجل اطلق النار على زوجته وعلى رجل اخر وهناك حوادث قتل كثيرة تقع فى هذا المكان إلى جانب حوادث السيارات الكثيرة .

- اظن انها قصة من مأثورات الريف الإنجليزى الشهيرة ولكن لماذا لم تخف انت وإيللى من هذه الخرافات ؟

- نحن لا نصدق هذه الأساطير والخرافات .. فقد سعدنا بشراء هذه الأراضى بهذا الثمن .

- وانا مثلكما لا اعتقد فى هذه الخرافات وسوف يكون بيتكما جميلاً ورائعاً .

- ولكن اتمنى الا يترامى إلى مسامع إيللى كل هذه الأساطير .

- سأحرص من جانبى على ذلك .

- ارجو ذلك فإن إيللى ليست قوية الأعصاب مثلك. وانتقل الحديث بنا إلى موضوع آخر وبدأ اندرو القول وهو ينقر بأصابعه على المائدة القريبة منه.

- والآن سأنتقل بك إلى موضوع شاق .. انت تقول لنك لم تلتق مع جريتا اندرسون .

- نعم لم التق بها كما سبق وأن ذكرت لك .

- اليس هذا غريباً .. بل وغريباً جداً ؟

- ولماذا يبدو ذلك غريباً ..؟

- ظننت انك تعرفها .. فماذا إذن تعرف عنها ؟

- كل ما اعرفه عنها انها قضت وقتاً طويلاً مع ليللى كوصيفة لها .

- قد لا تعرف انها جاءت وليللى عمرها ١٧ عاماً فقط للجلوس معها ومرافقتها حال غياب زوجة ابيها عن المنزل وهى فتاة من عائلة طيبة معها شهادات ممتازة بدات عملها معنا فى امريكا وهى نصف المانية ونصف سويدية وقد احبتها ليللى كثيرا .

- فقلت .. هذا ما لاحظته جيدا يا سيدى .

- هل لاحظت ان ليللى متعلقة بها جدا وهل اشارك هذا الأمر ؟

- كلا ولماذا يثيرنى ذلك .. صحيح اننى كنت متضايقاً فى اول الأمر ثم بعد ذلك شعرت ان الأمر لا يستحق هذا الأسى والألم فهذا لا يعنينى فى شىء.

- ومع هذا فقد رفضت ان تلتقى انت مع جريتا..؟

- كلا .. فقد اقترحت ذلك اكثر من مرة وقد انشغلنا بعيدا عن هذا الموضوع .

- هل اقترحت ليللى ان تحضر جريتا زواجكما ؟

- نعم اقترحت ذلك .

- ولماذا لم تحضر جريتا إذن حفل زواجكما..؟

- لا اعرف سبب ذلك وان كنت سررت لعدم حضورها فانا اشعر انها تتصرف فى كل شىء وتدبر كل الحيل والخدع بمباركة من ليللى لهذا كنت سعيدا لعدم حضورها فقد شعرت انها تزاحمنى فى حب ليللى .

- إننى افهم .. افهم ما تقصد يا مايكل .. وانت فى ذلك على حق فقلت فى دهاء .. اظن انك ايضاً لا تميل إلى جريتا يا سيدى .

- لا ادرى كيف تقول "انت ايضاً" مع انك تزعم انك لم تلتق بها من قبل .

- قلت لك إننى لم التق بها من قبل .. ولكن تمكنت من تكوين صورة لها من كثرة ما سمعت عنها على لسان ليللى . وقد تكون هذه غيرة منى ولكن لماذا لا تحبها انت ؟

- لأن جريتا تسيطر على ليللى وهى امرأة كما تبدو لى تعتز بنفسها ولها نفوذ غير مرغوب فيه.

- هل تتوقع انها ستعمل على نسف العلاقة بيننا .

- لا ادرى ولا يحق لى ان اخوض فى مثل هذه المسائل . وراح ينظر لى فى دهاء الثعلب يتظاهر بالنوم وهو يقظ متاهب ليقول .

- هل اقترحت ليللى عليك ان تعيش جريتا معكما ؟

- هذا اقتراح مرفوض لن يحدث إطلاقا .

- إذن اقترحت ليللى عليك ذلك؟

- قد تاتى للإقامة معنا وقتا قصيرا فى بداية تاثيث بيتنا ثم سترحل بعدها .

- المشكلة ليست فى بقائها معكما ولكن فى هؤلاء الذين كانوا ينفون فيها وخانت ثقتهم.

- هل تقصد انكما ستطردونها ولن تعطوها اى شهادة للحاق بوظيفة اخرى !

- لن يحدث ذلك إلا من خلال إطار قانونى .

- وهل تتصور انها ستاتى إلى انجلترا للإقامة معنا؟

- لا احب ان اتحدث فى شىء لا اعرفه .. ولكن الذى اتوقعه ان زوجتك رقيقة القلب ولن ترض على تشريدها وتحطيم مستقبلها .

لا اتوقع ان تتمسك ليللى بها ولكن قد تمنحها معاشا يكفيها .

ولا تنس انها شابة جميلة .. فاتنة .

- ولماذا لم تتزوج حتى الآن ما دامت جميلة كما تقول .

- المفروض ان تفعل ذلك كما ان المفروض ان تمنحها ليللى معاشا يكفيها عرفانا بالجميل .

لا مانع فى ان تفعل ليللى ذلك .

- ولكن هل تتصور يا مايكل ان جريتا ستوافق على ذلك ..؟!

- ولماذا ترفض ..؟

- اظن ان جريتا ستقبل الصداقة مع ليللى ولن تضحى بها من أجل معاش ضئيل .

- هل تتوقع ... ؟!

اتمنى الا تفعل ذلك حتى تتحرر ليللى من قيودها .. ونهض مستر اندرو وهو يقول .. ارجو منك مساعدتى فى التخلص منها .

انا ليست اتمنى التخلص من وجودها معنا .

- اخشى ان تغير رايك اذا وقع بصرك عليها .

لا اعتقد فانا اكره المراة الذكية المتسلطة مهما بلغت درجات جمالها وانوثتها

- شكرا لك يا مايكل على هذا الإصغاء الطويل وارجو ان تقبل دعوتى لحضور تناول العشاء معى انت وزوجتك يوم الثلاثاء القادم ربما تحضر كورا و فرانك وستويفيزانت اثناء العشاء .

- ارغب فى مقابلتهم .

- هذا امر لابد من إتمامه

وابتسم ابتسامة صادقة تخلو من الخبث والدهاء واستطرد يقول .

- يجب الا تخاف منهم حتى لو اغلظت كورا القول معك وكذلك ان فعل فرانك اما روبن فقد يتغيب عن الحضور

- لا أعرف من يكون روبن هذا هل هو قريب ليللى ؟ لا اعرف

- ومشيت نحو غرفة ليللى وانا اقول لها انهضى ياليللى لقد انتهى التحقيق وجاءت ليللى وهى تنظر الينا ثم اتجهت نحو اندرو وقبلته على وجنتيه قائلة.

- ليها العم اندرو .. هل راق لك مايكل .

- نعم يا عزيزتى .. ولكنكما فى حاجة إلى نصائحى وخدماتى فى المستقبل لأنكما صغيران .

- نعم .. وسوف نصغى إليك فى اهتمام وصبر بالغ .

- والآن اسمح لى ان اتحدث معك قليلاً يا ليللى.

- فقلت ، إذن حان دورى الآن للخروج ومضيت إلى المخدع بعد ان اغلقت الباب فى حرص شديد بحيث لا يكون إغلاقا كاملاً فانا اود ان استرق السمع حتى اعرف هل هذا الرجل ذو وجهين ام لا ؟ وسمعت انه حدثها بشان جريتا ومعاشها وزيادة مخصصات كورا فأجابت بالإيجاب إلا انه عاد وقال لها لا داعى لزيادة مخصصات كورا فيكفيها امتيازاتها التى تتمتع بها من أزواجها

السابقين ومن ثروة جدك ثم لانه لا يوجد قانون يدعوك إلى زيادة مخصصاتها ولكن يمكنك ان تعطيها معاشا إضافيا تستطيعين تجميده متى تشائين إذا استمرت هى فى تغليظ القول وإشاعة الفوضى فى حياتك مع مايكل، وقد اجابت ليللى . اعرف ان كورا تحقد علىّ دائما ثم سالته فى خجل .. هل احببت مايك يا عمى ؟ فقال لها انه شاب وسيم جذاب وأستطيع ان افهم سبب زواجك منه . والحق ان اندرو كان مجاملاً وكريماً معى وهم الرجل بالانصراف ونادت ليللى باعلى صوتها لأودع ضيفنا وسرعان ما اقبل احد الخدم .حاملاً برقية تسلمتها ليللى فصرخت فى سعادة .

- اوه .. انها جريتا قادمة إلى لندن الليلة وستحضر هنا غدا .. ما أجمل ذلك ..

وكان مستر اندرو مازال واقفاً معنا، ولاحظت الوجوم باديا على وجهينا وقد سمع احدنا يقول .. هو ذلك بينما الآخر قال بالطبع .

الفصل الحادى عشر

فى اليوم التالى نهضت من فراشى مبكرا لشراء بعض الحاجيات وتركت ليللى مستغرقة فى النوم وعدت عند الظهيرة لأجد جريتا تجلس مع ليللى انها فتاة جميلة كما قال لى اندرو ومليحة كما قالت ليللى لكنها اجمل مما وصفوها فهى ممشوقة القوام ذات عيون زرقاء واسعة جذابة وشعر اصفر تكوم على راسها ورشاقة تثير شهية الرجال انها بالفعل تجمع بين جمال بنات السويد وانوثة الألمانيات .. انها بحق فاتنة .. رائعة واقتربت منهما وهما يتبادلان اطراف الحديث الهامس بينهما وقد نهضت ليللى وهى تقول:

- اخيرا يا مايكل .. ها هى جريتا اقدمها لك .

- انا سعيد لرؤياك يا جريتا (قلت ذلك وانا احاول إخفاء ضيقى من وجودها) .

- وقالت ليللى .. لعلك تعرف ان لولا دورها الخطير لما تم زواجنا اطلاقا

- فقلت .. بل كان سيحدث بأساليب أخرى .

- كلا لم تكن ستتمكن من التصرف بدونها .

والتفتت نحو جريتا وهى تقول فى لهفة ..

- ها اخبرينى بربك .. ماذا فعلوا بك هل طردوك ؟ هل حقدوا عليك ؟..

- نعم حدث ذلك وقد طردونى بتهمة خيانة الأمانة وانه يعطونى شهادة خبرة تساعدنى للالتحاق بعمل اخر . ولكنى سعيدة بما فعلت

- ولكن ماذا تصنعين الآن ..؟

- وجدت عملاً سوف التحق به فى لندن كسكرتيرة .

- ولكن هل انت بصحة جيدة وسعيدة؟

- وكيف لا وقد ارسلت لى شيكاً عوضنى عن فقدان وظيفتى .. لقد سافرت كثيرا وطفت ارجاء العالم وعقدت العزم على الاستقرار فى لندن واشتريت اشياءً كثيرة .

- فقالت ليللى .. ونحن ايضاً اشترينا الكثير منها انا ومايك .

- وبالفعل فقد اشترينا اشياء كثيرة من باريس واثينا وروما اشترينا القمشة ولوحات فنية رائعة وتحف غالية لقد اشتريت ما كنت اتمنى شراءه وقالت جريتا .. الاحظ سعادتكما معاً اليس كذلك .

- لم تشاهدى بيتنا بعد انه سيكون جوهرة انه سيحقق احلامنا اليس كذلك يا مايكل ..؟!

- نعم، فقالت جريتا .. لقد شاهدته عقب نزولى هنا فى لندن .

- قالت ليللى ، حسناً

- وقالت جريتا .. انه بيت رائع وصممه مهندس عبقرى عجيب .

- فقلت .. حقاً انه رجل عبقرى وعجيب بالفعل .

- فقالت جريتا .. نعم لكنه مخيف .. مخيف جدا .

- قلت مستغرباً ، مخيف ؟ وكيف ذلك ..؟!

- قالت .. يبدو انه مريض .

- قلت .. نعم هو بالفعل كذلك .

- قالت .. من اى داء يشكو؟

- قلت ، يشكو من مرض السل .

- قالت .. كلا انه يشكو من مرض فى دمه كما اظن ولكن متى سينتهى البناء ..؟

- قلت .. قريباً .. قريباً جدا .

- فقالت .. اود انه المال الذى يستطيع ان ينهى كل شىء فى اسرع وقت .

- ما اجمل ان يملك الإنسان مالا يحقق به احلامه .

اما انا فكنت اقدر المال وقوة سطوته خاصة وانني تعلمت الكثير من ليللى واكتسبت الكثير من زواجى منها فقد اختلفت حياتى حقا اختلافا جذرياً لقد كنت فقيرا فقرا معدما وليللى ثرية ثراء فاحش عاشت فى بذخ وترف . ولكن الله قد حقق كل احلامى هاهى امراة جميلة وقصر منيف سيكون حديث الناس جميعاً. وهاانذا اصبحت لا اخاف من اسرة ليللى وشردت بخاطرى كثيرا فى الرحلات التى قمت بها مع زوجتى والمقتنيات التى اشتريناها معاً والمدن التى زرناها سويا كنت غارقا فى خيالاتى وذكرياتى .. ويبدو ان شرودى قد لفت انتباه ليللى وقطعت ليللى حبل افكارى وهى تصرخ :

- اود انه يفكر فى بيتنا .

كانت تريد لفت انتباهى إلى التوجه لحجرة الطعام لتناول العشاء. كان الوقت ليلاً وقمنا بتغيير ملابسنا وفجاة قالت ليللى .

- مايك .. هل تحب جريتا ..؟

- فاجبت .. طبعاً .. طبعا يا ليللى .

- كنت ساتضايق لو لم تحبها يا مايك .

- ولماذا كنت تظنين اننى اكرهها .

- لست واثقة ولكن لاحظت ذلك فى نظراتك إليها .

- ربما لاحظت ذلك فقد كنت منفعلا .

- منفعل من جريتا ..؟!

- نعم فهى توحى إلى بالخوف والرهبة كالهة الأساطير الاسكندنافية .

- لكنها نحيفة وليست مزهلة مثلهن .

- إنها تتكلف وتتصنع كثيرا فى كلامها وملابسها والواقع اننى لا اميل إليها .

- فاجابت فى غضب .. اود يا مايك .. إن لدى ذكريات كثيرة معها ثم إنها مالت إليك واحبتك ايضا واعترفت لى بذلك .

- اسمعنى يا ليللى .. كان ينبغى عليها الا تقول ذلك لك .

- كلا .. إنها كالعادة صريحة دائما معى .

وتذكرت حديث اندرو عن جريتا ونفوذها الطاغى على ليللى ولكن الحقيقة انها كانت رقيقة معى إلى اقصى حد، ولم تكن متصنعة كما قلت بل على العكس كانت بسيطة وواقعية ولكن مشاعرى الدفينة فى كراهيتها لم تبارحنى قط، والحق انها ساعدتنى كثيرا فى الزواج من ليللى ولولاها ما كان قد تم ابدا ولكن شخصيتها الطاغية وضعف شخصية ليللى يثير حنقى وحفيظتى .

كانت جريتا تقف اثناء ذلك فى شرفة الفندق الذى نقيم فيه ولم يترام إلى مسامعها حديثى مع ليللى، ثم جاءت وجلست معنا لتتناول ثمار التفاح وقلت امامها - موجها حديثى لإيللى .

- لقد شعرت ان مستر اندرو قد تقبل امر زواجنا .

- فقالت جريتا .. إنه رجل عجوز ولكنه ثعلب .

- فتدخلت ليللى .. إنك تقولين ذلك دائما عنه رغم انه رجل ظريف ومخلص فقالت جريتا .. هذا رأيك وانت حرة فيما تعتقدين .

- إذن انت لا تثقين فيه .

- اجابت جريتا .. نعم .. رغم انه يتحلى بالوقار والاحترام ومنظره يدعو للثقة .

فقاطعتها ليللى وهى تضحك .

- هل تقصدين انه غير امين على ثروتى ؟ لا تكونى سخيفة يا جريتا هناك حشد من الاف الموظفين يتولى هو تدبير شئونهم .

فقالت جريتا .. ربما يكون امينا لكن اظن انه من هؤلاء الذين يختلسون إذا لاحت لهم الفرصة .. وقد يظن الناس بهم خيرا ثم يفاجأون بأمره المشين . فقالت ليللى .. قد ينطبق هذا الكلام على العم فرانك فهو من هذا النوع الذى يختلس بالفعل ولا يرفض الإقدام على ذلك .

فأجابت جريتا معلقة .. اود .. إنه اشبه باللصوص والنصابين. لكنه يحمل قلب طفل ولا يستطيع ان يفعل ذلك ابدا رغم مظهره الحقير فسألت ليللى بدورى مقاطعاً كلامها مع جريتا .

- اهو شقيق ابيك يا ليللى .

- فقالت .. إنه زوج عمتى وهجرته وتزوجت بغيره وماتت منذ سبع سنوات وظل هو على علاقته بنا منذ زواجه منها .

وتدخلت جريتا تقول وكأنها ارادت مساعدة ليللى فى حديثها انهم ثلاثة .. من الطفيليين المتعلقين بالأسرة .. كان لإيللى عمان مات أحدهما فى حادث والآخر قتل فى كوريا اما الثلاثة الطفيليين فهم كورا وفرانك وابن الخال روبين ثم هناك اندرو وستانفورد لوبير .

فسالتها مندهشا .. من يكون إذن ستانفورد هذا؟

فاجابت جريتا .. إنه وصى آخر اليس هذا صحيح يا ليللى .

ثم إنه يقوم باستثمار اموالها التى تنمو وتنمو وتتضخم دون تدخل منها لتحمل اعباء ومشقة ومكابرة هذه الأعمال المرهقة .

- فقالت ليللى ، لا عليك بامرهم .. فسوف تلتقى بهم جميعا عما قريب ولكن لا تهتم بهم فسوف يرحلون على الفور ولن يقيموا معنا إطلاقا .

الفصل الثانى عشر

وتوافد الجميع علينا فى جناح الفندق الذى نقطن فيه لحين انتهاء اعمال البناء فى بيتنا الجديد.. كانوا يتكلمون بطلاقة بعضهم تظاهر بالرقة وبعضهم تمسك بالتقاليد البالية التى عفى عليها الزمن .

فها هو العم فرانك الذى بدا لى رجلاً سمينا ضخماً مترهلا مهملا فى مظهره بعض الشىء وإن دلت تجاعيد وجهه على انه رجل سكير عاشق نساء وقد امنت بما روته عنه جريتا التى تمكنت من تحليل شخصيته بدقة وامانة ويا له من رجل احمق فقد بادر بطلب قرض مالى من اول لقاء جمعنى معه ولم اكن اعرف هل اقرضه واتظاهر بالكرم والجود والعطاء واللامبالاة بالنقود و الأموال ام ارفض إقراضه متظاهرا بالبخل والتقطير اللعنة عليك يا فرانك ايها الأحمق العربيد، اما السيدة كورا زوجة والد زوجتى ليللى فقد لفتت انتباهى إليها حيث بدت امراة قوية تتصرف وكانها مارى انطوانيت وهى تبلغ من العمر الأربعين عاماً جميلة الوجه ممنوقة القوام تتحدث برقة وعذوبة فتاة مراهقة احمرت وجنتاها من الخجل وقد سمعتها تقول لزوجتى .

- لقد سبب زواجك صدمة لنا جميعاً واعرف أن جريتا هى التى تقف وراءه وقالت لها زوجتى - لا داعى لتقريع جريتا فهى بريئة وانا المسئول عما حدث .

- حسناً .. ولكن انت لا تعرفين ثورة الغضب التى اجتاحت رجال الأعمال خاصة ستانفورد لويد واندرو ليبنكوت وقد احسوا بإهمالهم لك وهو ما دفعك للتصرف على هذا النحو الأحمق وإن كنت ارى انهم لم يعرفوا بعد مدى وسامة زوجك ولطفه وظرفه وذكاءه .

والقت كورا نظرة عابرة نحوى مصحوبة بابتسامة زينت بها وجهها والواقع انها كانت ابتسامة ملينة بالنفاق والتملق وتعبر عن حقد دفين

نحوى واظن ان المحامى اندرو قد اسدى النصح لكورا بان تتحلى بضبط النفس بعد ان اخبرها بعزم ليللى فى بيع ممتلكاتها فى الولايات المتحدة الامريكية وحرصها على تخصيص معاشا إضافيا لها خاصة وانها على وشك الطلاق من زوجها الذى يصغرها بسنوات عديدة حيث علمت انه شاب تتكون ثروته من وسامته ورجولته فقط وهو ما يؤكد انها ستخرج من هذا الطلاق صفر اليدين .. وبالطبع فإن كورا كانت فى امس الحاجة إلى هذا المعاش خاصة وانها امراة شديدة الإسراف والتبذير وما من شك أن المحامى اندرو قد لمح لها ان هذا المعاش الإضافى يمكن تجميده إذا أرادت ليللى ذلك وهو ما يتطلب منها التصرف معها ومع زوجها بشيء من الحكمة والعقلانية وإلا فقدته فى الحال اما روبين ابن خال ليللى فلم يحضر معهم وقد بعث رسالة إلى ليللى . وكانت رسالة مرحة ولطيفة تخلو من الإساءة أو القسوة وتمنى لها السعادة فى زواجها وقد تشكك من استمرار بقاءها فى لندن وقد لبدى سعادته إذا ما فكرت فى العودة إلى امريكا فى أى وقت تشاء .

- وهنا علقت لزوجتى ليللى على هذا الخطاب - إنه لطيفا .

- فاجابت .. نعم هو ذلك او قد لاحظت انها مترددة فى الإجابة على ذلك ثم سالتها . هل تحبين احدا منهم يا ليللى ؟

- فاجابت ، كلا فهؤلاء جميعاً لا تربطنى بهم صلة دم ورحم بل اقارب صهر فقط ولكننى احببت والدى حباً جماً وشعرت انه عاش ضعيفا حيث كان يميل إلى ممارسة هواية الصيد فى فلوريدا وقد تزوج كورا فى سن صغيرة اما امى الحقيقية فلا اعرف عنها شيئاً واحببت عمى جو وعمى هنرى فقد كانا يتمتعان بخفة الدم وروح الدعابة والمرح بينما كان ابى هادئاً ساكنا حزيناً على عكس اشقاءه .. لكن عمى جو متهورا مندفعا من اجل كسب المال ومات فى حادث سيارة بينما مات هنرى فى الحرب الأمريكية الكورية اما جدى فقد كان مصدوما نتيجة موت أولاده الثلاثة ولم يكن مغرما بكورا إلى جانب عدم ثقته فى جميع اقاربه البعيدين ولا

حتى بالخال روبين واوقف ثروته للأعمال الخيرية خاصة للمستشفيات والمتاحف الفنية وكل ما صنعه لكورا وفرانك هو معاش ضخم لكل منهما

- ومع ذلك اوصى بالجزء الأكبر من الثروة لك وحدك ..؟!

- نعم كان يخشى علىّ من هؤلاء الذئاب فالقمهم اموالا تردع حياتهم وطرق باب جناحنا ستانفورد ولويد وحمل معه حزمة من الأوراق والمستندات لكى توقع عليها ليللى وهنا شعرت بالعجز عن إسداء النصيحة لزوجتى فانا لا اعرف ماذا اصنع امام هذه المواقف القانونية، كل ما ارغب فيه ان اطلب من الرجل ان يكون اميناً فقط مع ليللى والحقيقة ان مظهر الرجل يدل على انه رجل مال لا يعبأ بممارسة اى سلوك أحمق يسيء إلى تصرفاته وشهرته الفائقة فى عالم المال والأعمال لقد كان وسيما جميلا طاعناً فى السن، وشعرت بفرحة حين حمل اوراقه وانصرف وقلت لزوجتى ليللى فى اعقاب رحيله .. اهذا هو آخر المجموعة اللعينة فأجابت وهى تبتسم

- ارى انك لا تميل إلى احد منهم اليس كذلك..؟

- فقلت .. نعم واظن ان كورا زوجة ابيك تتصف بالدهاء والنفاق عفوا يا ليللى .

- ولماذا تعتذر عما قلت .. إنك على حق .. وهذا رأيك .

- إنك فتاة مسكينة تشعر بالوحدة دائماً.

- نعم يا مايكل قضيت عمرى كله وحيدة حتى زملاء الدراسة لم يكن لى حق مصاحبتهم وكانوا يفرقون بينى وبينهم متذرعين بالفوارق الاجتماعية ولذلك عشت بدون صديقات حتى جاءت جريتا التى كانت بمثابة ثورة فى حياتى وانقلاب شامل لكل مشاعرى وعواطفى لقد علمتنى جريتا التمرد والطموح والانطلاق .

- يوسفنى يا ليللى انك تشعرين ان جريتا هى عمود حياتك وينبغى ان تتخلصى منها باية وسيلة.

- تقول ذلك .. لأنك لا تميل إليها يا مايكل .

- قلت لها ، كلا .. كلا .. بل انا احبها .. ولكن بصراحة اغار منها لأنكما شديدتا التعلق وهذا يثير مشاعرى بالحقد عليها .

- كفى حماقة .. لا تكن غيورا هكذا يا مايكل انها الإنسانة الوحيدة التى ساندتنى واهتمت بامرى واخلصت لى حتى التقيت بك وتزوجتك .

- تزوجتينى وسوف نعيش سعداء معا إلى الأبد.

الفصل الثالث عشر

حاولت بقدر ما أستطيع ان ارسم لوحة فنية تضم جميع افراد أسرة ليللى فى مخيلتى لدراسة احوالهم النفسية لرصد نواياهم نحوى انا وزوجتى خاصة واننى علمت ان هؤلاء خططوا لدخول حياتنا .. نعم كنت ارسم هذه اللوحة وانا اطل من نافذة الغرفة حتى سلمنى الخادم رسالة من المهندس المعمارى سانتونيكس يطلب منا ان ننتظر منه اخبار سعيدة بعد اسبوع وبالفعل بعث لنا برسالة اخرى طلب فيها سرعة حضورنا إليه فى الصباح الباكر .

واسرعنا فى اليوم التالى انا وزوجتى وقد بدات الشمس تميل نحو الغروب وكان سانتونيكس واقفا لمقابلتنا امام البيت وحين وقع بصرى على البيت رفرف القلب بين ضلوعى طربا وسرورا وانا اهتف فى داخلى رباه . اهذا بيتى حقاً ما هذا ؟ إنه الحلم الذى تحقق وهنا سالنى المهندس .

- هل اعجبكما ..؟!

- فقلت .. اوه يالك من مهندس عبقرى إنه يفوق كل خيالاتى

- فقال سانتونيكس .. نعم هو اجمل بيت شيدته فى حياتى وقد كلفكما الكثير من المال ولكنه يستحق على كل حال . تعال يا مايكل واحمل عروسك بين زراعيك كعادة العريس دائما الذى يحمل عروسه إلى بيتها الجديد . والحق اننى شعرت بالخجل بعد ان تلون وجهى وحملت ليللى فقد كانت خفيفة ورشيقة وجاوزت درجات البيت وهنا علق سانتونيكس قائلا

- ها انتما الآن فى بيتكما لأول مرة .. اعتن بها يا مايكل إنها رقيقة الطباع لا تستطيع الاعتماد على نفسها وإن كانت تتصور عكس ذلك .

- وقاطعته ليللى وهى تقول :

- ومن اى شىء تخاف علىّ يا سيدى ..؟!

- فقال .. إننا نعيش فى عالم تملئه الشرور والآثام وتحيط به من كل جانب وهناك قوم خبثاء يحيطون بك يا عزيزتى .. لقد رأيت هنا بعضهم وقد جاءوا إلى هنا بدوافع الفضول يتشممون المكان كالجرذان العفنة .

- كلا .. لن يزعجنا احد منهم فقد غادروا جميعا إنجلترا وعادوا إلى امريكا .

- فأجاب ربما .. ولكن لا تنس ان المسافة بين لندن وواشنطن بضع ساعات فقط .. كان بوسعى ان اقف بجوارك ولكن صحتى باتت هزيلة وايامى فى الدنيا معدودة لذلك ارجو منك الاعتناء بنفسك جيدا .

- فقلت ، دعك من اساطير الغجر .. وهيا بنا لنشاهد ارجاء البيت .

كانت كل الغرف مفروشة باستثناء القليل منها

وهنا قالت زوجتى ليللى فجاة - أود نسينا أن نطلق على البيت اسما لا داعى للاسم القديم فهو يثير خوفى - لنسميه أرض الغجر كما كنت تقول يا مايكل أليس كذلك ؟

- فأجبت فى حزم .. كلا هذا الاسم أميل إليه الآن.

وقاطعنى سانتونيكس قائلا .. لكنه معروف بهذا الاسم .

وجلسنا نحن الثلاثة فى شرفة البيت نترقب مغيب الشمس خلف الأفق البعيد لنبحث عن اسم يليق بروعة البيت وراح كل منا يردد اسم فمن قائل بهجة الروح ومن قال الجوهرة ومن قال بيت الصنوبر حتى خيم الظلام وسرت رياح باردة أجبرتنا على إسدال الستائر وإغلاق النوافذ ثم توجهنا إلى غرفة الطعام لتناول الماكولات وتذكرنا أننا فى حاجة شديدة إلى وجود خدم يقومون على خدمتنا وقالت ليللى ،

- اخشى ان يرفض احد منهم المجىء إلى هنا لخدمتنا نظرا لوجود البيت بعيدا عن العمران .

- فقال سانتونيكس .. فى هذه الحال يحسن بك أن تضاعف من اجورهم .

- فقالت ليللى ، هل تظن ان بالمال يمكن شراء أى انسان .

- وضحكنا جميعاً ونحن نجلس حول المائدة نتناول الماكولات ولاحظت ان سانتونيكس قد تجلت حيويته ولمعت عيناه واسترد عافيته

وفجاة وقع حجر صغير من خلال زجاج النافذة وقد حطمه فدحا تهشم وتناثرت شظاياه التى اصابت وجه ليللى وجلسنا فى ذهول وتسمر كل منا فى مكانه فنهضت فجاة من مقعدى نحو النافذة إلى الشرفة ولم الاحظ شيئا غير طبيعياً ثم عدت إلى ليللى واحضرت منديلا ورقيا ومسحت به جرحها وانا اقول فى انزعاج .. لا تخافى ياحبيبتى انه جرح صغير .

ولكن سانتونيكس كان فاغرا فاه وبدا مشدوها فى حين قالت ليللى

- ولماذا يفعلون بنا هذا ؟ لماذا ؟ لماذا يا مايكل ؟

- فقلت ، ربما هى شقاوة اطفال صغار .

- نهضت ليللى وهى تقول فى فزع ، لكنى خائفة .. خائفة ..

- فقلت ، لا عليك سوف اهتم بهذا الأمر فى الصباح الباكر وسوف ابحث عمن ارتكب ذلك .

- فقالت .. ربما حركتهم احقاد الفقر نحونا لأننا نملك المال أليس هذا صحيحا .

وهنا تدخل سانتونيكس ليتجاذب معها أطراف الحديث لكى يهدئ من روعها .

- كلا .. لا اعتقد ان هذا هو سبب حدوث ذلك.

- فقالت ليللى ، لكننى اشعر بكراهيتهم نحوى انا ومايكل اشعر بذلك حقاً ..

وهز سانتونيكس راسه مرة اخرى معبراً عن رفضه لقولها حتى قالت ليللى :

- قد يكون هناك سبب اخر .. سبب لا نعرف عنهُ شيئا .. ارض الغجر .. فهم يعملون على طرد كل من يتواقد عليها حتى تصبح ملكاً لهم وربما يريدون ان نرحل، قدمت لها قدحاً من الشراب وانا اقول لها .

- ارجوك يا ليللى لا تفكرى فى ذلك .. انه عمل من اعمال الصبية الصغار .

- مايك .. إننى اتساءل هل هناك احد حريص على إخراجنا من هذا البيت الذى نحبه ؟

- فقلت .. مهما دبروا فسوف اقوم على حمايتك وساتصدى لكائدهم .

والتفت إلى ناحية سانتونيكس احدثه فى حدة.

- لقد كنت تعيش هنا اثناء بناء هذا البيت فهل تعرف شيئاً مما تقوله ليللى؟ هل حاول احد عرقلة اعمال البناء ؟ هل هناك شخص هددك اثناء عملك ..؟

- فاجاب سانتونيكس - إن المرء يتخيل احيانا اشياء غير واقعية او منطقية .

- إذن فقد وقعت هنا اشياء جذبت انتباهك انت وعمالك اليس كذلك ..؟!

- إن الحوادث فى الغالب تقع عند بناء البيوت ومع ذلك فما حدث هنا

كان عادياً فقد سقط رجل من فوق السلم واخر اصيب بكتلة خشبية وثالث تورم إصبعه .

- ولكن هل حدث شيئاً ما كان غير طبيعيا..؟!

- كلا .. وانا اقسم لك بذلك .

ثم نهضت ليللى وهى تقول ، هل تذكر تلك المراة الغجرية يا مايكل التى حذرتنا معاً؟

- فقلت ، نعم اذكرها .. لكنها عجوز حمقاء مجنونة لا تصدقى ما زعمته لك.

- فقالت ليللى ، لقد بنينا البيت فى اراضى الغجر وهو عكس ما نصحتنا به وحذرتنا منه .

- فقلت ، لن يستطيع احد إرغامنا على الخروج من هذا البيت مهما حدث .

فعلقت ليللى وهى تضرب الأرض بقدميها ..

- نعم لن ادعهم يجبروننا على الخروج .

وعدت اقول فى انفعال .. لن يستطيع احد .. لن يستطيع احد ، وكاننى بهذه الكلمات كنت اتحدى الأقدار .

الفصل الرابع عشر

وهكذا قضينا ليلتنا بعد ان عقدنا العزم على البقاء وقد أصرت ليللى على إطلاق اسم (اراضى الغجر) على البيت لكى نتحدى هؤلاء اللاعبين وعاد المرح والسرور على وجه ليللى مرة اخرى وبدانا نخطو نحو جيراننا للاطلاع على احوالهم وقصدنا السيدة العجوز التى تسكن الكوخ كنا نتمنى ان نراها حتى نثبت لها نجاحنا فى بناء بيتنا رغم ما زعمته من أهوال ومصائب وكوارث ستحل علينا لمجرد وجودنا هنا .. نعم كنت اتوق لرؤيتها وللأسف لم اعثر عليها داخل الكوخ وحين سألت عنها إحدى جيرانها قالت ربما قد تكون خرجت فهى تختفى بعض الوقت وقلت فى نفسى إنها حقا غجرية لا تقوى على البقاء داخل بيتها ابدا وسمعت أثناء شرودى صوت هذه السيدة التى تجاور الغجرية الحمقاء وهى تقول :

- اظن انكما اتيتما إلى هنا من البيت الجديد الكائن فوق التل .

- فقلت : نعم .. هذا صحيح فقد أقمنا فيه هذه الليلة فقط .

- فقالت : إنه بيت رائع وجميل ذهبنا جميعاً لمشاهدته أثناء بناءه ولاحظت انه شديد التناقض مع الأشجار التى حوله .

وراحت تقول موجهة حديثها لإيللى فى خجل- سمعنا انك امريكية اهذا صحيح .

- اجابت ليللى : نعم إننى امريكية أو كنت امريكية ولكننى متزوجة من رجل إنجليزى وبهذا تجنست الإنجليزية .

- وهل فى نيتك البقاء و العيش هنا ..؟!

- فتدخلت .. وانا اقول فى حدة .. نعم اننا عقدنا العزم على العيش هنا بالفعل .

- فاجابت فى تردد .. أرجو أن تروق لكما الإقامة هنا ..؟

- فقلت .. ولماذا لا تروق لنا الإقامة هنا ؟

- ربما لأنه مكان نائى بعيدا عن الناس وهو ما يتعارض مع طبيعة البشر الاجتماعية خاصة انه منعزل فوق التل ومحاط بسياج كثيف من الأشجار الكثيبة قالت ليللى .. اراضى الغجر ..!

- فاجابت المرأة .. انت تعرفين اسم المكان ؟ الغريب اننا جئنا هنا وكان يسمى بارض الأبراج رغم انه لم يكن به برجا واحدا وهذا ما رأيته بنفسى .

- فعلقت ليللى قائلة ، انا لا يروق لى هذا الاسم ابدا فهو اسم على غير مسمى سوف نسميه أراضى الغجر .

- فتدخلت مقاطعاً ليللى وانا اقول ، ينبغى أن نخبر مصلحة البريد حتى تصلنا الخطابات عليه .

- نعم لن تصلنا اية رسائل بالفعل .

- فقلت .. ولكن الا تتفقين معى يا ليللى أن من الخير لنا الا تصلنا اية رسائل ؟ .

- فقالت ، كلا .. فهذا يسبب لنا مشكلات عديدة مثل الفواتير وغيرها .

- ولكن اليس هذا شيئاً رائعاً حقاً .

- كلا .. لن يكون ذلك رائعا .. فسوف يتوافد علينا المحضرون من كل صوب وحدب ثم إننى اتلهف على معرفة اخبار جريتا .

- جريتا .. جريتا دعيها وشأنها الآن .. تعال نكتشف هذا المكان وقضاء برحلة استكشافية للقرية وعرفنا انها قرية جميلة تضم أناس ظرفاء . والقرية هادئة تبعث الاطمئنان على النفس وإن كان الخادمان قد رفضا الإقامة معنا فيه لبعد القرية عن العاصمة حتى اضطررنا إلى شراء سيارة اجرة لهما لكى توفر علينا نفقات السفر ومشقته اثناء العطلة الأسبوعية ورحت اتساءل عن سبب نفورهما من البيت فعلمت ان السبب هو الأشجار المخيفة التى تحيط بالبيت من كل جانب وهى الأشجار التى خرجت منها العجوز الغجرية فجاة . وقد افزعتنا انا وليللى عند اول لقاء جمعنا معها .

وهنا وافقت ليللى على ازالة هذه الأشجار فى العام القادم لنزرع بدلا منها احواض من الورود والأزهار الجميلة .

وهاهى جريتا جاءت إلينا لقضاء عطلة الأسبوع واعجبها البيت . وراحت تهنئ ليللى على ذوقها الرفيع فى اختيار اثاثات البيت واللوحات الفنية التى تزينت جدرانه بها وسرعان ما عادت إلى عملها وغادرت البيت . وقد لاحظت فرحة ليللى بها وهى تطوف معها انحاء المنزل ورغم اننى كنت متضايق من تعلقها بها إلا اننى تظاهرت بعدم الاكتراث بما يحدث بينهما ولكنى شعرت بالسعادة حين اعلنت جريتا عزمها على الرحيل وان لم اظهر ذلك . بعد ايام من إقامتنا تعرفنا باهالى القرية وجاء الميجور فيليبوت لزيارتنا وهو رجل دمث الأخلاق بلغ الستين من عمره يرتدى ملابس رثة قديمة وهو اشيب الشعر وله شارب خفيف وقد استحوذ على اعجاب أهالى القرية . ونصبوه حكيماً لهم وزعيماً لقريتهم وراح يتجاذب معنا اطراف الحديث وكان من حين لآخر يظهر لنا سرور وسعادته وارتياحه لنا وراح

يدير دفة الحوار بروح المرح والدعابة وقد سألنى عن السباق وكانت ليللى لا تبالى بسباق الخيل وازعجه ذلك ونصحها بضرورة شراء الخيول لممارسة رياضتها فى الأراضى البور الواقعة خلف البيت ثم تحدثنا فيما بعد عن اراضى الغجر وقال لنا ،

- اعلم انكما سمعتما عن الشائعات التى تدور هنا .

- فقلت ، سمعنا عنها الكثير على لسان مسز لى العجوز التى حذرتنا من المجىء إلى هنا .

- فقال ، يا لها من امراة مسكينة لقد اصابتكما بالفزع والخوف .

- فسالته .. اتظن انها مجنونة ..؟!

- فقال، ليس بالقدر الذى تتوقعه فانا مسئول عنها ودبرت لها الكوخ ورغم ذلك فهى لم تبدى اى شكر او امتنان ولكنها تزعجنى احيانا .

- هل تجيد قراءة الطالع ؟

- ربما فى بعض الأوقات .. ولكن هل قرات لكما بختكما ..؟

- فاجابت ليللى .. نعم وقد انذرتنى من البقاء هنـا .

فقطب البجور حاجبيه وهو يقول ،

- هذا امر يدعو للدهشة فهى دائما تتحدث عن الأشياء السعيدة فعادة تقول شاب وسيم وفتاة جميلة ودستة اولاد ومال قادم ونطق بالكلمات الأخيرة مقلدا العجوز وهى تقول .

- على اية حال فإن الغجر اغلبهم من اللصوص ولكنهم ظرفاء فقد عشت معهم منذ طفولتى سواء فى المسكن او فى المدرسة وتأثرت بهم كثيرا

بل ان اسرتى نفسها مدينة لمسز لى فقد انقذت حياة احد اشقائى الصغار كاد ان يموت غرقا فى بركة مجاورة لنا وهنا اتيت بحركة خرقاء هشمت كاسا من فوق المائدة فوقع على الأرض وتناثرت شظاياه وعاونى البجور فى جمعها وهنا قالت ليللى،

- لقد ظلمت مسز لى وإنه لغباء منى ان انزعجت منها .

- فقال البجور .. إلى هذا الحد بدت لك العجوز انها شريرة ..؟!

- فقلت ، نعم لقد ازعجتها من خلال لهجتها التحذيرية . وحين قمنا هنا اول ليلة حدث لنا حادث غريب وحدثته عن الحجر الغريب الذى حطم الزجاج وقدح الماء فقال فى دهشة، هذا عمل صبياني احمق وهذا غريب فالأطفال هنا يتمتعون بالهدوء والاتزان .. إننى أسف لما حدث لكما.

فقالت ليللى ،

- لقد نسيت هذا الحادث ولكن ما ازعجنى اننى وجدت فى صباح اليوم التالى عصفورا ميتاً على باب البيت وقد اخترق صدره خنجرا وإلى جوارد ورقة كتب عليها "إذا كنتما ترغبان فى الحياة .. ارحلا عن هنا"

وظهرت امارات الحزن والضيق على وجه البجور فيليبوت وهو يقول ،

- لقد اخطأتما كان عليكما ابلاغ البوليس فورا .

- فقلت .. لم نرغب فى ذلك .

- فقال .. هذا حادث غريب يجب ان نتصدى له فلو كان مزاحا لعاقبنا مرتكبه وراح يقول مستطردا .. يبدو لى ان هناك من يحقد عليكما او على احدكما .

- فقلت .. كلا لا يمكن ان يكون الأمر كذلك فنحن غرباء هنا .

- قال فيليبوت ، سوف اتحقق من كل هذا .

ثم نهض واقفاً وهو يتامل المكان ويقول .. لقد احببت هذا البيت فأنا من الجيل القديم وكنت اعشق البيوت القديمة فهو فسيح ويطل على منظر ساحر جميل .. من الذى صممه وشيده ..؟ هل هو مهندس إنجليزى ام احد الأجانب ..؟

ورحت احدثه عن عبقرية سانتونيكس فقال إنه قرا عنه فى مجلة البيت و البساتين فقلت له إنه مهندس مشهور وانصرف الميجور وقد وجه لنا دعوة لزيارة بيته لتناول الغداء معه هو وزوجته ثم راح يقول - اتمنى ان يروق لكما بيتى القديم .

- فسالته ، اهو من الطراز القديم إذن .

- فاجاب .. لقد تم بناءه عام ١٧٢٠ وهو الوقت الذى كان معروفا بالبناء الرفيع وكان مبنياً على طراز الملكة اليزابيث ثم هدم فى عام ١٧٠٠ وتم بناء بيت جديد .

- فسالته ، هل تقيم هنا منذ زمن بعيد ؟

- فاجاب - نعم إننا نعيش فيه من عهد الملكة اليزابيث ومنذ هذا الوقت ونحن نعيش في بحبوحة من العيش وإذا ساءت الأمور لجانا لبيع بعض الأراضى حتى تستقر بنا الأحوال فنعود لشرائها مرة أخرى .

ثم نظر إلى ليللى وهو يقول ،

- إن الأمر يكبين يعشقون البيوت القديمة . أما أنت يا مايكل فلا أظن انك تهوى البيوت القديمة .

- فقلت ، لا يمكن ان ازعم اننى احب البيوت القديمة فعلاً وهنا نهض

فيليوت واقفاً وكان فى سيارته كلباً اسبانيا يجلس فى سيارته القديمة وسررت من زيارته التى ستدفع اهل القرية لحذو عمله كما شعرت انه قد احبنى انا وزوجتى وودعته حتى الباب وعدت لأجد ليللى تجمع شظايا الكاس المحطمة وهى تقول فى اسف .. إن الكاس قد تحطمت.

- قلت .. يمكن لنا شراء غيرها .

- قالت .. اعرف ذلك ولكن ما الذى اثارك هكذا

- فقلت ، ملاحظة ابداها الميجور كنا ونحن صغار نلهو فى التزحلق على الجليد حتى ان طفلاً معنا سقط فى بركة من الماء ولم نفلح فى انقاذه .

- ما ابشع ذلك يا مايكل .

- نعم كنت قد نسيت هذا الحادث لولا ان فيليبوت ذكرنى .

- لقد احببته يا مايكل .. وانت ما شعورك نحوه؟

- وانا ايضاً شعرت بالميل نحوه ولكن كيف تكون زوجته ..؟!

ولبينا دعوة الميجور فيليبوت لتناول الغداء عنده وكان بيته جميلا من الطراز الحجرى وإن لم استرح له يضم العديد من اللوحات القديمة البالية وكان بين هذه اللوحات صورة لفتاة جميلة ترتدى ثياباً جميلة تاملتها فى دهشة وإعجاب وهنا ابتسم الميجور قائلاً ،

- هذه احسن لوحة فقد رسمها جينسبورو وقيل إن صاحبة الصورة قد دست السم لزوجها.

دعا الميجور فيليبوت بعض جيرانه للتعرف علينا فكان بينهم الدكتور شو وهو رجل يبلغ الستين من العمر مثل الميجور وإن بدا لنا مرهقا وكان هناك احد القساوسة وهو شاب متزن هادئ وامراة فى منتصف العمر

ذات صوت جهورى وهناك ايضاً فتاة طويلة القامة مليحة الوجه سمراء اسمها كلوديا هارد كاسل يبدو انها تعشق ركوب الخيل رغم إصابتها بالحساسية المعروفة باسم حمى الهشيم وقد اقتربت من ليللى ومالت إليها وانسجمت معها. ووعدتها ليللى بان تعطيها اقراص برتقالية اللون للتغلب على هذا المرض، وراحت كلوديا تشكرها وهى تقول إن هذه الحساسية تهاودنى عند ركوب الخيل والجمال خاصة حين ركبتها وانا فى طريقى إلى الأهرام .. اما انا كنت جالساً بجوار زوجة الميجور وهى امراة طويلة ممشوقة القوام تلتهم الطعام بشراهة وهى تتحدث عن مرضها واحتار الأطباء فى علاج مرضها وسالتنى عما افعل فى الحياة فتظاهرت بعدم السماع .. على اية حال فقد كان يوماً ممتعاً حقا .. بعد ذلك واثناء سيرى للتنزه فى الحديقة وجدت كلوديا هارد كاسل تقف امامى وهى تقول :

- لقد سمعت عنك من اخى ..!

فتسمرت مكانى متسائلاً فى نفسى من اين عرفنى اخوها وكيف ذلك وقلت لها :

- هل انت متاكدة مما تقولين .

- فقالت وهى تبتسم نعم انه هو الذى بنى بيتك .

- هل تقصدين انه سانتونيكس .. كيف ..؟!

- نعم هو ذلك، اخ غير شقيق وانا لا اعرفه معرفة جيدة حيث لا نلتقى إلا نادراً .

- انه عبقرى خطير ..

- هذا راى البعض فيه ..

- الا تعتقدين ذلك ايضا .

- لا اظن .. لقد كان فاشلا ثم وجدته فى القمة على غير العادة وكانه اصبح موهوباً.

- لكنه بالفعل موهوب.

ثم سالتها هل زارت بيتنا فاجابت بالنفى مؤكدة انها لا تحب البيوت الحديثة وان طراز الملكة آن هو المفضل لديها ووعدتنى انها ستلحق ليللى فى نادى الجولف وانها ستركب معها الخيل وهكذا احسست بحبها نحو زوجتى .

اما الميجور فيليبوت فقد تمتم بكلمة او بضع كلمات عن كلوديا وهو يترجل فى حديقة خيوله.

- إنها فارسة ماهرة .. لكنها فاشلة فى حياتها الاجتماعية .

- كيف حدث لها ذلك؟

- تزوجت رجل يكبرها بسنوات كثيرة .. إنه رجل أمريكى اسمه لويد لكنها انفصلت عنه بسرعة واظنها ستظل هكذا مطلقة فهى قد كرهت الرجال.

وفى طريق عودتنا قالت ليللى :

- إنهم اناس ظرفاء سنكون سعداء هنا يا مايكل اليس كذلك ..؟

- فقلت : نعم سنكون سعداء .

ودخلت بالسيارة إلى الجراج الخاص بها ونزلت ليللى منها متوجهة إلى باب البيت واثناء عودتى بمفردى بعد أن اغلقت باب الجراج سمعت انغاما جميلة تنبعث من قيثارة اسبانية رائعة كانت ليللى هى التى تعزف وتغنى

بصوتها الرقيق كنت لا افهم كلمات الأغانى فهى من (الفلكلور الأمريكى) لكنى كنت مسروراً وسعيداً بها رغم انها كلمات شجن وحزن كانت ليللى تعزف فى حنان ورقة وهى تقول ،

خلق الرجل للفرح والعناء

وحين يعرف ذلك

يعبر الدنيا فى امان

كل ليل ونهار

يولد البعض للعذاب

ويولد البعض للهناء

ويولد البعض لليل طويل مدى الحياة

وقفت خلفها بحيث لا ترانى وانا اسمع ما تشدو به كبلبل حزين يصدح على اوراق الشجر ويرقص على اغصانه وسرعان ما رفعت عيناها فوجدتنى لتقول ،

- لماذا تتاملنى هكذا يا مايكل ..؟!

- وكيف لاحظتى نظرتى إليك يا زوجتى الرقيقة ؟

- لانك تنظر إلى نظرة عاشق ولهان .

- بالطبع فانا احبك وهل يجب ان انظر إليك على عكس ذلك ..؟

- نعم كنت افكر فيك حين رايتك لأول مرة .. واقفة بين اشجار الشوح لننى احب ان اتذكر هذه اللحظة الجميلة .

وابتسمت فى سعادة وسرور وراحت تعزف على قيثارتها وتشدو فى رقة

كل ليلة وكل نهار

يولد البعض للهناء

يولد البعض للهناء

ويولد البعض لليل طويل مدى الحياة

الواقع اننى كنت فى غاية السعادة والسرور فى تلك الليلة منذ عودتنا من بيت الميجور فيليبوت وقلت لها انشدى لى انشودة الذبابة .. فراحت تنشد فى حنان .

ليتها الذبابة الصغيرة اللعونة

إن يدى الطائشة تعودت على الاعيبك .

ولكن انا لست مثلكم يا ذبابة او لست انت رجلا

مثلى اغنى وارقص واشرب والهو .

حتى تلك اللحظة التى تبطش فيها يد طائشة

تحطم ضلوعى ...

الفصل الخامس عشر

بعد ذلك وأثناء هذه الأوقات الحالمة التى عشناها فى هذا البيت الجميل ازعجتنى خطابات كورا زوجة والد ليللى وكأن الرياح قد أتت بما لا تشتهى لها سفنى وبواخرى، فقد كنت أظن اننى سأعيش بمفردى أنا وليللى بعيدا عن هؤلاء الأبالسة ولكن سرعان ما امطرتنا بخطاباتها السخيفة وقد أشارت فى أحد رسائلها انها تنوى العيش فى لندن لمدة شهرين فى كل عام وانها ترغبُ فى شراء بيت لها قد شاهدته وهو يبعد عن بيتنا بنحو خمسة عشر ميلا . والواقع اننا لم نكن نريدها بجوارنا بل إننا رفضنا هذه الفكرة .

أما الملعون فرانك فقد وقع فى مصيدة النصب والاحتيال كعادته وتطلب حل هذه المعضلة حضور ستامفورد لويد وكان واشنطن هذه تبعد عنا عشرات الأميال فقط . وذهبت مع ليللى إليه فى مقر معيشته ودار الحديث بينهما فى أمور تتعلق بأعمال مالية وسمعت مصطلحات غريبة مثل السندات وغيرها وان هناك تلاعباً قد حدث فيها وأن مستر ستانفورد لم يدرج قيمتها فى كشوف الحساب .

وعدنا إلى بيتنا ورغبنا فى التنزه خارجه وانطلقنا فى طريق سلكناه لأول مرة تحف به الأشجار والأعشاب من كل جانب حتى انتهى بنا المطاف فى كوخ سميناه (الخلوة) كان اشبه بمعبد أرادت ليللى أن تعيد طلائه ووضع اثاث فيه إلا اننى رفضت وقلت لها فليظل كل شىء فيه على حاله وصممنا على ألا نخبر كورا بأمر هذا المعبد الجميل حتى نقضى فيه أوقاتا سعيدة بعيدا عنها .. آه .. كورا كانت قد حضرت وكنا نذهب للخلوة لنلهو ونلعب ونمرح دون أن يعكر أحد صفونا وأثناء لهونا خارج المعبد تعثرت ليللى فى جذع شجرة رغم رشاقتها وخفتها فالتوى كعب قدمها.

وذهبنا إلى الدكتور شو الذى طمأننا على حالتها وأكد انها فى حاجة إلى راحة لمدة أسبوع على الأقل حتى تتخلص من الله .

وبعثت ليللى بخطاب تستدعى به جريتا .. ورضخت لرغبتها فلم يكن هناك احد يعتنى بنظافة البيت وشئونه وعلى كل حال فقد رغبت فى ذلك ولها ما ارادت وجاءت جريتا وكانت ذات فائدة لإيللى ولى انا ايضا اما الخدم فقد غادروا البيت زاعمين انه بيت معزول وان كنت اظن ان كورا كانت وراء هروبهم منه ونشرت جريتا إعلانا داخل الصحف المحلية وحضرت ومعها خادمين آخرين والحقيقة انها كانت شديدة الاهتمام بقدم ليللى وقد قامت برعايتها وتسليتها وترفيهها واحضرت اشياء تعرف انها تحبها وتعشقها والحقيقة ايضاً ان زوجتى كانت فى غاية السعادة اثناء وجود جريتا ولسبب ما ظلت جريتا معها ولم تعود إلى عملها وهنا قالت ليللى تخاطبنى :

- هل لديك مانع من بقاء جريتا معنا لبعض الوقت ..؟

- فقلت فى اقتضاب .. كلا .. كلا ليس لدى مانع .

- إن وجود جريتا معى يا مايكل عون لى وتعويض كبير فهناك اشياء نسائية ينبغى ان نتحدث فيها معاً بعيدا عن الرجال .. إننى اشعر بوحدة فى غياب جريتا .

ولاحظت ان جريتا مع مرور الأيام صارت هى الحاكم الفعلى للبيت وتظاهرت اننى احبها واود بقائها معنا ولكن واثناء راحة ليللى فى غرفتها كنت اقف فى الشرفة بجوار جريتا ثم تشاجرنا فجاة وان كنت لا اتذكر كيف بدا العراك معها لكنها تحدثت بكلمات اثارت حنقى وارتفعت اصواتنا معا وقد صدرت منها ابشع الألفاظ النابية وانفجرت انا بدورى اتهمها بانها ديكتاتورية مستبدة تتدخل فيما لا يعنيها وانها عكرت حياتى وتبادلنا

الصياح وفجاة جاءت ليللى مسرعة وهى تتجه نحو جريتا وهى تصرخ .. انا اسفة يا حبيبتى .. انا اسفة جدا .

- ورافقتها إلى غرفتها وعادت لتقول فى حدة:

- لم اكن اتصور انك تحقد عليها إلى هذا الحد

- وتماسكت امامها وبادلتها الحديث برقة وعذوبة لأهدئ من روعها وطمأنتها وشرحت لها ان اعصابى قد خارت قواها بسبب استبداد رأيها دائماً فى المنزل وانتهى الأمر باعتذارى لجريتا وطلبت منها ان تظل معنا .

كان خلافاً سخيفاً واظن ان الخدم قد نما إلى سمعهما ما حدث بيننا والواقع اننى كنت مبالغاً فى غضبى وهذا من طباعى السيئة فقد كنت جلفاً كبيراً .

وحضر الدكتور شو لمتابعة حالة ليللى وتاكد انها اصبحت فى حالة طيبة وسمح لها بالمشى على قدمها بعد ان تربطه بشاش طبى ولفت نظر الدكتور شو ان مشيها الآن قد يصيبها بضرر بالغ خاصة وانها رقيقة وضعيفة البنية إلا ان الدكتور اكد لى ان صحتها قوية وليست ضعيفة كما ازعم .

وقد نصحها بتناول بعض الأقراص المنومة إذا دعت الضرورة لذلك ثم اكد لها ان الأقراص ينبغى تناولها فقط إذا استعصى عليها النوم فقط وهى مفيدة وليست لها اضرار جانبية إطلاقاً .

واعتذرت لإيللى مرة اخرى عما بدر منى حيال جريتا وقد قلت لها ان جريتا هى السبب وراء انفلات اعصابى وضحكت ليللى وضحكنا معا كطفلين .

وسرعان ما توثقت اواصر المحبة والصداقة بين ليللى وحيرانها خاصة كلوديا كاسل وقد قاما معاً بالتنزه على ظهور الجياد وكنت بدورى لا اشارك فى تلك الرياضة فانا احب السباق فقط بعيدا عن هذه الهواية صحيح اننى عملت سائساً فى اسطبل خيول لمدة اسبوع إلا اننى لم افهم لغة الخيل .

وامام خوفى من ركوب الجياد نصحت ليللى بتوخى الحذر عند ركوب الخيل حتى لا تصاب باذى او مكروه وقد بادرتنى قائلة فى ثقة اننى اركب الجياد منذ صغرى وانا ابنة ثلاثة اعوام فقط وهكذا راحت تتنزه على ظهر جوادها ثلاثة ايام كل اسبوع لشراء ما تحتاج إليه من السوق .

وفى صباح باكر قالت جريتا اثناء تناولنا طعام الفطور .

- خرجت امراة عجوز ذات وجه مخيف هذا الصباح ووقفت فى عرض الطريق واتصفت ببذاءة اللسان .

- ماذا ؟ كانت سليطة اللسان معك ..؟!

- نعم .. عليها اللعنة ..

كانت ليللى تسمع كلمات جريتا فى دهشة وذهول .

- واردفت جريتا تقول ! لقد هددتنى قائلة "عليك ان تغادرى هذا المكان انتى ومن معك فورا وإلا حلت عليكم لعنة الغجر" .

- ورفعت قبضة يدها وهى تقول : "إذا لم ترحلوا سلطت عليكم لعنتى ولن تعرفوا طعم السعادة بعدها .. لاننا نريد خياما لا بيوتا .

اما ليللى فقد كانت تقول فى وجوم .

- كلا هذا يبدو بعيد الاحتمال .. اليس كذلك يا مايكل ..؟

- فقلت : اظن ان جريتا بالغت بعض الشى،

- يبدو انها فعلاً بالغت ولكن لماذا ؟

فسالتها .. الم تلتق مع إستر اخيرا ؟ الم تعترض طريقك اثناء تنزهك

- تقصد المراة الغجرية ؟ كلا

- هل انت واثقة من ذلك ..؟

- اظن اننى لمحتها بين الأشجار لكنها كانت بعيدة .

- ولكن بعد عدة ايام تسمرت المراة امام ليللى وقد صرخت فيها ليللى وهى تقول ماذا تريدين ان الأرض ملك لنا وليست ملك لك انت وهذا بيتنا

وهنا ردت عليها المراة الغجرية (كلا .. لن تكون ملك لك ابدا .. اننى انذرتك مرة وانذرتك الثانية ان الموت يجاورك .. ان بيتك سينهار"

فقلت غاضباً ينبغى ان نضع حدا لهذه المراة اللعونة .

بدا الخوف على وجه جريتا وليللى هذه المرة اما انا فقد قصدت كوخ مسز لى ولم اجدها فتوجهت إلى مركز البوليس وكنت اعرف الضابط كين وهو رجل ضخم الجثة سريع البديهة راح يستمع إلى فى اهتمام بالغ ثم قال :

- آسف لإزعاجكما يا مايكل انها امراة عجوز سببت لنا متاعب كثيرة وسوف انصحها بالابتعاد عن طريقكما .

- فقلت .. اتمنى مساعدتك يا كين .

- فقال : هل هناك من يحقد عليك انت وزوجتك..؟!

- كلا .. لا اعتقد ذلك ..

- إن مسز لى تنفق اموالاً كثيرة وهذه الأيام لا أعرف مصدرها .

- ماذا بوسعك ان تقول ..؟!

- لعل هناك من يدفع لها بسخاء .. اقصد شخصاً يرغب فى طردكما من هنا ..! فعلت هذا منذ سنوات بعد ان أمدها احدهم بالمال وهى الآن تمارس نفس الأسلوب معكما وعدت إلى البيت حائرا متضايقاً مما سمعت وما ان بلغت شرفة المنزل حتى سمعت صوت قيثارة ليللى ثم رأيت شخصاً طويل القامة واقفاً بجوار النافذة ينظر إلى الداخل ويتحرك نحوى وظننت فى البداية انها المراة الغجرية ولكنى شعرت بارتياح حين يتبين لى انه المهندس سانتونيكس وقلت .

- اوه .. اهو انت ..؟! من اين جئت ؟ وما هى اخبارك ؟

تردد فى الإجابة عن اسئلتى ثم امسك ذراعى وانتحى بى عند النافذة وقد قال:

- إذن هى هنا .. إن هذا غريب .. كنت اعرف انها ستأتى آجلاً أو عاجلاً لماذا تركتها تحضر .. إنها شديدة الخطر .. كان يجب ان تنتبه لذلك

- ماذا تقصد ؟

- اقصد المراة الأخرى

- اوه... تقصد جريتا .

- فقال فى حدة .. هل تعرف من هى جريتا ؟ إنها جاءت لكى تبقى ولن تقدر على طردها .

- فقلت ، لقد اصيبت ليللى وقد جاءت لمساعدتها ومعاونتها .

- انت لا تعرف حقيقتها فقد رغبت فى ذلك منذ البداية .. صدقنى يا مايكل .

- جاءت خصيصاً لتلقى نظرة على البيت اثناء بنائه.

- لكن ليللى متعلقة بها جدا .

- إنها تعرف كيف تسيطر على عواطفها .

- كان هذا نفس الكلام الذى نطق به ليبتكوت ووثقت من ذلك الآن .

- اسمعنى يا مايكل .. هل تريدها هنا ..؟

- وماذا بوسعى ان اصنع وهى صديقة حميمة لزوجتك .

- لا اظن انك تستطيع ان تفعل اى شىء

- ورمقنى بنظرة قاسية فهو رجل غريب الأطوار غامض .

- ثم اردف يقول ، هل تعرف إلى اين انت تسير يا مايكل ؟

- فقلت .. نعم اعرف طبعاً .. فطريقى إلى حيث أريد .

- انا خائف عليك من جريتا فهى اقوى منك .

- لماذا تقول ذلك ..؟

- إنها امراة قوية لعبت بمشاعر زوجتك وسيطرت عليها ولا حاجة لزوجتك بك وسوف تصبح نكرة لا قيمة لك فى نظر ليللى فى حضور جريتا .

- كلا .. انت معتوه وتتحدث فى اشياء خاطئة وسخيفة ماذا تقصد ؟

- هل انت زوج ليللى ام ان ليللى هى زوجتك ؟

- انت مجنون .. فلا يوجد خلاف او اختلاف فى ذلك .

- اخذ المهندس سانتونيكس نفساً عميقاً وهو يقول فى يأس :

- إننى لا افهمك وانت ايضاً لا تفهم ماذا تريد .. اسمع يـا مـايك انـا مهندس معمارى ممتاز وقد شيدت هذا البيت على أحدث طراز بناء على رغبتك انت وزوجتك فليتك تطرد هذه المرأة قبل أن يسبق السيف العزل .

- وكيف استطيع إقناع ليللى بذلك ..؟

- صدقنى انها خطر وتفعل ما تريد .

- اصدقك القول فانا لا اطيق سماع اسمها ولكن طردها ليس سهلا .

- نعم طردها ليس سهلاً .

- لكن هل تؤمن يا سانتونيكس بلعنة الغجر التى تتردد هنا ؟

- نعم أرواح شريرة سكنت المكان وانا اؤمن بذلك فانا أعرف الشر تمام المعرفة وهو موجود فى بيتك ويجب ان يتطهر منه هل تفهم ؟ هيا بنا كى نبحث عن ليللى .. والتقى مع جريتا وكان ظريفا معها لطيف المعشر عذب الكلام .

كما لو كان مفتوناً بجمالها وانوثتها وقد يكون ذلك صحيحا فهو رجل غامض يستطيع إخفاء مشاعره التى تتدفق بداخله نحو جريتا إنه رجل خطير.

اما جريتا فقد كانت ضعيفة امام كلمات المدح والإطراء التى تسمعها من اى احد وكانت تلك الليلة فى أبهى صورة وقد رأيتها بأجمل مما كانت من قبل .

كانت تبتسم لسانتونيكس وهى تبدو مسحورة امام كلماته وكان الرجل ظريفاً لكن احداً لا يعرف ماذا بداخله وألحت عليه زوجتى بالبقاء معنا عدة أيام إلا انه رفض متعللاً بالمرض .

وقد اردف يقول لقد عالجونى.

. فقلت، كيف عالجوك؟

- قال ، اخرجوا منى دم فاسد واستبدلوه بدم طازج .

- قالت ليللى وهى تصرخ .. اوه .

- فقال سانتونيكس .. لاَ تخافى لن تتعرضى لذلك ابدا .

- فقالت .. ولكن لماذا اصابك انت بالذات .

- كيف تسالينى عن ذلك وقد سمعت شدوك وانت تقولين خلق الرجل للسعادة والعناء.

- الا تشعرين بالأمان يا ليللى ..؟

-لا احب ان اتلقى تهديدا من احد

- تقصدين المرأة الغجرية

- نعـــــم .

- ابعديها عن خاطرك هذه الليلة اتمنى لك حظاً سعيدا . فالتفتت له جريتا وهى تقول ،

- وماذا تتمنى لى ايضاً ..؟!

- اتمنى لك ما تشتهين .. اتمنى التوفيق .

- وانصرف عن بيتنا فى صباح اليوم التالى وقد علقت ليللى عقب مغادرته .

- انه رجل غامض غريب الأطوار لم افهمه ابدا.

- فقلت .. انا نفسى لم اعد افهمه ابدا .

- بلى .. فهو يعرف اشياء كثيرة .

- تقصدين انه يعرف المستقبل .

- كلا .. لا اقصد هذا .. انه يعرف الناس باكثر ما يعرفون انفسهم .

الفصل السادس عشر

فى عصر اليوم التالى كنت امشى فى مكان مظلم داخل القرية ووجدت من بين الأشجار امراة فارعة الطول ظننت انها الغجرية وتوقفت فجاة امامها فإذا بها امى فقد وقفت بقامتها الفارعة وشعرها المتهدل ورحت اخاطبها .

- رباه .. انك اخفتنى يا اماه .. ماذا جاء بك إلى هنا ؟ هل جئت لزيارتنا ؟

- لقد طلبت منى المجىء اكثر من مرة ولم تلبى دعوتى لك .

- والواقع اننى كنت كاذباً فقد بعثت لها برسالة مقتضبة تخلو من حنان الابن. فلم اكن ارغب فى وجودها معى وقد ردت بعد برهة من التفكير.

- نعم اصدقك وجئت لأطلع على امورك فى هذا القصر الرائع .

- شعرت بسخريتها وقد قلت لها .

- اتقصدين انه كبير لا يليق بى ..؟

- كلا .. لا اقصد هذا يا بنى .

- ولكن هذا هو ما يدور فى خاطرك ؟

- انك لم تولد لهذا القصر يا بنى وليس من الخير ان ترتفع على اوضاعك الاجتماعية .

- لو رضخت لنصائحك لبقيت مكانى دون ان اتحرك للأمام خطوة واحدة .

- اعرف انك ستقول ذلك ولكن الطموح سيدمرك يا ولدى فنهايته خطيرة .

- دعينا من هذا الهراء تعالى معى لكى تشاهدى البيت بنفسك ولكن حذارى ان تغلطى القول لزوجتى.

- زوجتك ؟ لقد قابلتها من قبل .

- ماذا تعنين بذلك يا اماه ..؟!

- انها حضرت لزيارتى

- فقلت مستغرباً : ذهبت لزيارتك .

- نعم .. جاءت وطرقت الباب وبدا عليها الخوف انها فتاة مليحة وثرية . وبادرتنى متسائلة .

- هل انت ام مايك ..؟

- فقلت لها نعم ومن تكونين يا فتاة ..؟

- فقالت .. انا زوجته وقد حضرت لرؤيتك فمن غير اللائق الا التقى بك .

- فقلت لها : اعرف انه يرفض زيارتك لى.

- فقالت : ربما يشعر بالخجل من فقركما .

- لا ليست هذه من عيوب ابنى ابدا .. انه لا يخجل منى ولكنه يخاف من كلامى فقالت نعم وهذا هو ما اشعر به فعلاً .

- لقد كانت خائفة يا مايكل .

- فقلت لها : تعالى يا امى .. تعالى وشاهدت البيت ولا اعرف هل اعجبها ام لا ..

- كانت ليللى وجريتا جالستين معاً .. كانت جريتا ترتدى معطفاً من الصوف الأحمر ونظرت إليها امى وقفزت ليللى من مكانها وهى تقول :

- اوه .. اهذه انت يا مسز روجرز ..؟

ثم التفتت إلى جريتا وهى تصيح هذه ام مايك جاءت لزيارتنا ومشاهدة بيتنا هذه صديقتى جريتا اندرسون وامسكت بيد امى مرحبة بها بينما امى تقول لها وهى تحدق بعينها فى وجه جريتا .. اننى ارى .. اننى ارى .

- فسالتها ليللى .. ماذا ترين يا اماه...؟!

- قالت ارى بيتاً جميلاً واثاث رائع وريش نعام ولوحات فنية .

- وقالت ليللى : ينبغى عليك ان تتناولى قدحاً من الشاى .

-إلا ان امى تحولت إلى جريتا وهى تقول: هل تتفضلين باعداد الشاى .. بكل سرور يا عزيزتى .

اما جريتا فقد مضت نحو المطبخ وهى ترمى امى بنظرة مذعورة.

- وجلست امى وسالتها ليللى .. اين حقائبك؟ اود بقائك معنا ؟

- كلا يا ابنتى لن ابقى هنا .. ساعود بالقطار بعد نصف ساعة .

- ثم راحت تقول قبل مجىء جريتا : ارجو الا تنزعجى يا ابنتى لقد قلت له انك قد اتيت لزيارتى .

- قالت ليللى فى حزم .. اننى آسفة يا مايك إذ لم اخبرك بذلك .

- فقالت امى .. إن زوجتك جاءت لزيارتى وهى فخورة لأنها فتاة طيبة ورقيقة وانا آسفة يا ابنتى .

- فقالت ليللى .. آسفة لماذا ؟

- فاجابت .. لا بدر منى .. والآن عرفت ان مايك اصاب الاختيار

- فقلت .. يا لها من وقاحة .. وكنت ابتسم اثناء هذا القول واردفت اقول :

- إنك تعرفين يا امى اننى اتمتع بذوق رفيع منذ صغرى .

- فقالت : تقصد انك تتمتع بالإسراف والتبذير .

- وهنا ضحكت ليللى وهى تقول : بل انا اسوا منه فى ذلك الشان يا اماه .

- فاعترضت اقول : ولماذا البخل إن الزوج الذكى هو الذى يتزوج من فتاة ثرية كى ينفق ما يريد فى اى وقت يشاء .

- وضحكت ليللى وهى تقول : تستطيع ان تنفق كل ما تشاء يا مايك وجاءت جريتا بإبريق الشاى وتكهرب الجو والحت زوجتى فى ابقاء

امى معنا إلا انها رفضت واصرت على الرحيل ورافقنا امى حتى الباب وقد قالت امى فجاة :

- ما اسم البيت الآن ..؟

- فقالت ليللى : اراضى الغجر .

- فاجابت امى .. نعم هناك بعض الغجر يقيمون هنا فى هذا المكان .

- فسالتها من قال لك ذلك ..؟!

- فاجابت .. رايت عجوز غجرية وانا قادمة إليكما ورمقتنى بنظرة مذعورة ..

- هل تسببتما فى إزعاجها ..؟

- فقالت ليللى .. كلا ولكنها تشعر اننا جئنا هنا لسلب اراضى الغجر .

- قالت امى : ربما تتطلع لبعض الأموال .

- فقالت ليللى : هل تحبين الغجر ..؟

- فاجابت .. كلا هم حفنة من اللصوص ويحترفون التسول .

- وقبل الوداع سالت امى من هذه الفتاة التى تقيم معكما ؟

- فاجابت ليللى .. إنها جريتا وصيفتى منذ ثلاث سنوات، وقد مدحت جريتا كثيرا مؤكدة انها كانت ملازمة معها وهى مصدر سعادتها .

- فقالت امى : هل تقيم معكما ام هى فى زيارة خاطفة ؟

- فقالت ليللى .. لنها تقيم معنا فى الوقت الحاضر لان قدمى مصابة وكان لابد من وجودها .

- فقالت امى .. من الخير لعروسين جديدين ان يقيما لوحدهما.

- ووقفنا بجوار الباب لمشاهدة امى وهى تهبط التل وقالت ليللى فى تفكير .

- لنها تتمتع بشخصية قوية جدا .

- كنت ما ازال غاضباً من ليللى بسبب زيارتها لأمى دون ان تخبرنى بذلك . وقلت لها وهى تتبادل معى نظرات الحب .

- لنك فتاة مخادعة لماذا اهتممت بزيارة امى دون ان اعرف ..؟!

- كان واجبا علىّ ان افعل ذلك لقد بذلت جهودا شاقة على تربيتك وتعليمك ورايت من الخسة الا اذهب إليها .

- لا يستطيع أحد ان يلومك لنما اللوم يقع علىّ انا فقط .

- نعم لقد فهمت لماذا ترفض زيارتها ؟

- هل تظنين اننى إتبرا من امى ؟ هذا ليس صحيحا يا ليللى .

- قالت بعد تفكير.. كلا لقد تاكدت من ذلك الآن فانت كنت ترفض لقانى بها حتى لا تصدع راسى فى الحديث عن مغامراتك .

- قلت : هذا صحيح فإن شغلها الشاغل هو ان ترانى مستقرا .

- قالت .. لكنها تحب مصلحتك يا مايكل وانت خلقت للطواف حول العالم لا العمل .

- كلا .. بل ارغب فى البقاء هنا معك دون ان اسافر إلى اى مكان .

- ستصاب باللل يا مايكل فانت تحب السفر وسوف نعود إلى هنا كل عام . فقط لننا يجب ان نزور اليابان ومصر وغيرهما .

- قلت .. لنك جعلتنى احب الحياة يا ليللى وآسف لغضبى .

- قالت .. انا لا اعبا بغضبك فانا لا اخاف منك .

- ثم استطردت تقول ولكن الا تلاحظ ان امك لا تحب جريتا ؟

- قلت .. إن اناساً كثيرين لا يحبونها

- وانت منهم .

- افهمينى يا ليللى كان ذلك فى البداية والآن تفاهمنا . إن مستر ليبنكوت لا يحبها ويعتقد انها ذات تاثير كبير عليك .

- نعم اعرف ذلك .

- ولكن هل تاثيرها كبير عليك؟

- نعم هذا القول صحيح فلابد من شخص يروق لى افضى له بهمومى وعدنا إلى البيت بعد ان مشينا بعض الوقت وكان الجو عصرا لكنه كئيباً ولم نجد جريتا واخبرنى الخادم انها خرجت لتتمشى .

بعد ذلك ارسلت شيكاً بمبلغ كبير إلى امى لشراء بيت جديد

واثاث جديد إلا انها ردت هذا الشيك ممزق قطعتين وهى تقول فى خطابها :"لا اقبل هذا المال يا مايكل فانت لن تتغير ابدا فليساعدك الرب" .

- وقلت اخاطب ليللى : تاملى ماذا صنعت امى بالشيك انها ترفضه لأنه من نقودك الخاصة.

- لا تهتم يا مايكل .. فهناك البعض الذى لا يروق له ذلك .

- إذن ماذا تريد منى إننى سأظل هكذا لن اتغير فانا راشد .

- ولكنى احبك كما انت هكذا .

- ثم غيرت دفة الحوار وهى تقول : ما رايك فى الخادم الجديد .

- لم انتبه له وكنت اشعر نحوه بالراحة وقلت انه جيد لا غبار عليه.

- فقالت : اظن انه من رجال الشرطة .

- قلت : ماذا ؟ من رجال الشرطة ؟ ماذا تقصدين ؟

- قالت اقصد انه مخبر سرى اعتقد ان العم اندرو قد بعث به لخدمتنا .

- لماذا ..؟

- لعله يخشى ان يختطفنى احد لا تنس انه كان هناك حرس خاص كان يلازمنى فى امريكا .

- هذه ضريبة المال .. إنها سخافات مزعجة .

- إنه إجراء روتينى تعودت عليه ولا عليك فلن يلاحظ احد شيئا.

- هل زوجته وراء ذلك ايضاً؟

- ربما فإنها طاهية ماهرة ولعله اندرو قد بعث بهما بعد أن طرد الخدام الآخرون دون أن نعرف.

- قلت : كيف يحدث ذلك واين نحن ..؟

- قالت .. لا يفكر احد فى إطلاعى على شىء خوفا من الرفقة ثم قالت وربما قد يكونوا على حق .

- قلت .. يا لك من فتاة ثرية مسكينة !

- قالت .. قد يكون ذلك اصدق تعبير عن حالتى .

- قلت .. إننى اكتشف فيك امرا جديدا

الفصل السابع عشر

اما النوم فقد كان عاصياً على جفونى حيث تنازعنى الخيالات والتصورات المرعبة والأفكار السخيفة وكلها تدور حول حياة ليللى المهددة بالأخطار دائماً . نعم كنت أخشى عليها من الاختطاف أو الاعتداء عليها وسرعان ما هزمنى النوم وانتصر على ظنونى واستسلمت له فى سبات عميق حتى استيقظت وانا اشعر بالراحة رغم عناء الليلة وحدثت نفسى وانا اقول اليوم السابع عشر فى سبتمبر انه راسخاً فى اذهانى وسوف يكون يوم رائع .

كنت قد تواعدت مع الميجور فيليبوت على ضرورة مرافقتى لحضور مزاد بيع على بعد خمسة عشر ميلا من قريتنا لشراء بعض الأشياء منه والميجور فيليبوت خبيرا فى فنون شراء الأوانى الفضية والمفروشات رغم انه كان رياضياً لكنه دائم البحث عن معرفة الاشياء وقد تعلم افراد اسرته منه تلك الهواية .. آه نسيت كان الميجور قد امدنى بكتالوج يحتوى على الأشياء المعروضة للبيع داخل المزاد وتصفحته اثناء تناول وجبة الإفطار اما ليللى فقد استيقظت من نومها لترتدى ثياب الركوب لتمتطى جوادها كعادتها كل صباح وتناولت فنجاناً من القهوة إلى جانب كوب طازج من عصير البرتقال وهو برنامج تخضع له منذ ان كانت فى امريكا وهو يعد لها بمثابة وجبة إفطار .. اما انا فحدث عن حالتى ولا حرج فلم اعد امسك على نفسى بعد تغيير حالتى المادية فصرت اهيم حباً فى تناول الأطباق الدسمة الساخنة اتناول منها ما يطيب لى بغير تردد . فكان طعامى فى الصباح

عبارة عن كلاوى محمرة وسجق وباكون .. انها اكلة لذيذة بالطبع اما جريتا فقد مرت من امامى وسالتها.. ماذا ستفعلين اليوم ...؟!

فاجابت انها ستلتقى مع كلوديا كاسل فى محطة القطار لمشاهدة اوكازيونات المفروشات فى العاصمة فى لندن .. واتجهت بدورى إلى ليللى ولنا اقول ما دام ان جريتا سوف تذهب مع كلوديا إلى لندن فلماذا لا تاخذين سيارتك وتاتينا معنا لنتناول الغداء فى مطعم جورج بيارنتجون ؟ إن الطعام به لذيذ جدا كما اخبرنى الميجور فيليبوت ؟ هل يروق لك اللقاء فى الواحدة ظهرا .. إنه على مسافة تبعد نحو ثلاثة اميال بعد قريتنا .

- فاجابت ليللى .. حسنا سوف احضر إليكما هناك .

- وساعدتها على القفز فوق ظهر جوادها .. كانت تعشق هذه الرياضة وانطلقت بين الأشجار والمنعطفات ومضيت انا بالسيارة الكبيرة حتى يتسنى لها اللحاق بنا بالسيارة الصغيرة، وقصدت انا الميجور فيليبوت حيث كان ينتظرنى داخل صالة المزاد وقد حجز لى مقعد بجواره وقد قال لى .

- توجد هنا لوحتان جميلتان واحدة من رسم الفنان رومنى والثانية للفنان رينولدز فهل يروق لك شراء إحداهما .

- هززت راسى بالنفى مؤكدا له اننى اهتم برسومات الفنانين المعاصرين فقط .

- فقال : يوجد هنا بعض التجار الأثرياء ومنهم هذا الرجل النحيف كريستنجون التاجر المشهور .. اين زوجتك يا مايكل..؟

- فقلت : إنها لا تهوى حضور المزادات .

- فقال : لماذا ..؟

- قلت : لأننى اعتزم ان افاجئها هل رايت رقم ٤٣ ؟

- فالقى نظرة سريعة على الكتالوج ثم عاد يقول :

- اوه .. اتقصد هذا المكتب الصغير المصنوع من الورق المضغوط ؟

- نعم إنه مكتب فخم بل هو من اجمل المكاتب التى رايتها اليوم إنه جوهرة ثمينة اما المكتب فقد كان غاية فى الروعة وقد حفر الصانع عليه رسماً لقصر وندسور .

- وعلى جوانبه باقات حلوة من الزهور ونباتات الزينة الجميلة .

- واردف فيليبوت يقول .. إنه تحفة نادرة .. ما اروعه ؟ ولكن لماذا تهتم بشرائه فاجبت .. انا لا اريده لنفسى ولكن زوجتى مشغوفة به وعيد ميلادها سوف يكون الأسبوع القادم واعتزم ان يكون هدية إليها ولهذا السبب تعمدت الا اخبرها بشانه وسوف يكون مفاجاة كبيرة لها .

- ودق الجرس لتبدا مراسم الزواج وارتفعت قيمة المكتب حيث تكالب عليه التجار واشتدت المنافسة بين تاجران مشهوران حضرا خصيصاً من لندن لشراءه وكان احدهما بارعاً فى اسلوب الشراء .. واشتريت مقعدا منقوشاً إلى جانب بعض المفروشات والستائر الكبيرة المطرزة .

ونهض فيليبوت وهو يقول عقب انتهاء المزاد.

- يبدو انك سعدت - هل ستحضر بيع بعد فترة الظهيرة ؟

- فقلت .. كلا .. فلا يوجد شيء يستدعى وجودى لشرائه .

- كيف إن هنا اشياء جميلة تستحق البقاء ام إنك تنوى الانصراف للقاء زوجتك فى مطعم جورج .

- نعم هى فى انتظارنا .

- ومس جريتا .

- ذهبت جريتا مع كلوديا إلى لندن لمشاهدة اوكازيون عن البياضات .

- صحيح ذكرت كلوديا شيئاً من ذلك امامى .

- وانطلقنا إلى مطعم جورج وشاهدنا زحاماً من السيارات مرصوصة امامه وتفحصت السيارات ولم اجد سياراتها كانت الساعة لم تكن قد جاوزت الواحدة وجلسنا إلى إحدى الموائد نلتهم الطعام اللذيذ وقد فرغنا منه لتناول الحلوى ثم قلبت فجاة فى تردد .

- لماذا لم تحضر ليللى للآن .. هل حدث شيئاً..؟

- لعل من المناسب ان تتصل بها .

وتوجهت إلى كابينة التليفون وردت على مسز كارسون الخادمة .

- اوه .. اهذا انت يا مستر روجرز إن سيدتى ليللى لم تصل بعد .

- قلت .. ماذا تقصدين ..؟

- قالت .. اقصد انها لم تعد من نزهتها الصباحية .

- لكنها خرجت مبكرا ولا يمكن لها البقاء خارج البيت كل هذا الوقت .

- لم اعرف كيف اتصل بك .

- واعطيتها رقم تليفون المطعم لتتصل بى بمجرد وصولها نم عدت إلى فيليبوت وقد لاحظ على ملامحى امارات الضيق والغيظ وبادرته قائلاً:

- إن ليللى لم تعد من نزهتها حتى الآن وقد تاخرت على غير عادتها كثيرا .

- فقال فى عذوبة : لعل جوادها اصيب وقد تعود مشيا على الأقدام .

- فقلت .. لو كانت ذهبت لزيارة احد لاخبرتنى بذلك .

- وانصرفنا من داخل المطعم قاصدين اللحاق بسيارتنا فإذا بالرجل الذى شاهدته داخل المزاد يمضى على عجل . وقد عرفت انه ستانفورد لويد او ربما كان رجل قريب الشبه منه، تساءلت ما الذى اتى به إلى هنا ؟ هل جاء لزيارتنا وكيف يأتى قبل ان يخبرنا بقدومه. اما المراة التى كانت تجلس بجواره فى السيارة التى قفز فيها فقد كانت شبيهة بكلوديا كاسل ولكن كلوديا المفروض انها فى لندن مع جريتا لشراء المفروشات .. يا لها من صور غبية حمقاء وفى الطريق نظر فيليبوت نحوى مرة او مرتين والتقت عينى فى عينيه .

- فقلت .. قد يكون كعب قدمها قد التوى مرة اخرى اليس كذلك يا ميجور ..؟

- فقال : إنها فارسة ماهرة .. فلا داعى للقلق والخوف .

قلت .. إن أحدا لا يستطيع ان يقاوم الحوادث المفاجئة .

وانطلقنا مسرعين وبلغنا الطريق المؤدى للسهل خلف البيت لنبحث عنها وسالنا احد الحطابين فقال :

- رأيت جوادا لا يمتطيه احد منذ ساعتين واردت الإمساك به ولكنه اسرع الخطى حين اقتربت منه . ولم يكن بصحبته احد .

فقال فيليبوت : الأفضل ان نذهب للبيت لتقصى الأخبار .

وذهبنا فى التو إلى المنزل ولم تكن به لية اخبار . واستدعيت الخادم وبعثت به إلى الأرض البور لتقصى حقائق الموقف . واتصل فيليبوت بيته فارسل رجلاً من هناك ليبحث بدوره هو الآخر ثم اتجهنا انا وهو نحو الغابة وهو الطريق الذى تسلكه ليللى دائما حتى بلغنا الأرض البور .. ثم وجدنا ملابس يتطايرها الهواء واسرعت نحوها ومن خلفى يجرى الميجور فى رشاقة لم اكن اتوقعها من كان فى مثل سنه .. وجدتها ليللى ممددة وثيابها تتطاير من حولها ووجهها الأبيض ينظر إلى السماء وتوقفت لا اريد التقدم نحوها من الخوف .

واتجه فيليبوت ليتفحصها وهو يصرخ .. يجب إحضار طبيب .. الدكتور شو لنه اقرب لنا من اى احد آخر، إنها فى شدة الحاجة إليه

- قلت : هل تعنى انها توفيت ..؟!

- فقال : نعم .. لا داعى للإنكار .

- فقلت .. اوه يا إلهى .. إننى لا استطيع العيش بدونها .. ليللى حبيبتى ماتت واقبل الخادم فارسله فيليبوت إلى الدكتور شو .

الفصل الثامن عشر

- وعدت اتذكر كلمات المراة الغجرية الملعونة التى هددت هذه الفتاة المسكينة يا لها من فتاة عاشت مسكينة وماتت مسكينة .. رباه .. إننى اتعذب بدونها .. هل فعلتها هذه الغجرية الحمقاء من يكون إذن لقد سمعتها وهى تهددها كثيرا ماذا اصنع يا إلهى ؟ ماذا بوسعى أن افعل ؟ اين ذهبت يا ليللى ؟

وبدات جلسات التحقيق ولم يكن قد سبق لى حضور مثل هذه الجلسات من قبل . كان المحقق رجلاً قصير القامة ثرثارا وقمت بدورى لأثبت شخصية ليللى قبل ان ادلى باقوالى، وذكرت له آخر مرة شاهدت فيها ليللى وانا اتناول طعام الإفطار وكيف ساعدتها على ركوب جوادها الرشيق وقلت له إنها كانت فى احسن احوالها .

اما الدكتور شو فقد شهد بما راى حيث لم يكن بها اية جروح او كسور نتيجة وقوعها عن ظهر الجواد واكد ان الموت كان سريعا عقب سقوطها عن الجواد بعد ان توقفت نبضات قلبها عن الخفقان إثر صدمة عصبية اصابتها والذى فهمته من كلام الدكتور شو أن المسكينة ماتت نتيجة اختناقها نظرا لصعوبة التنفس حيث إن جسدها كان سليماً إلى جانب اجهزة بطنها فقد كانت طبيعية وجاء دور جريتا للإدلاء بشهادتها حيث قالت إن ليللى كانت مريضة بالقلب منذ ثلاث سنوات مضت .

ثم تقدم الشهود الذين كانوا فى مسرح الحادث فى ذلك اليوم، وكان من بينهم هذا الرجل العجوز الحطاب الذى شاهد الجواد يسرع

بمفرده وكان قد رآها تمتطى الجواد وهى فى طريقها نحو التل ولم يشأ ان يتحدث معها لكنه كان يعرف انها صاحبة القصر الجديد فساله المحقق .

- هل كنت تعرفها ؟

- كلا .. لكن اعرف جوادها جيدا فقد كان ملكاً لمستر كارى المقيم بشنتلجروم والمعروف عن هذا الجواد انه هادئ ولم يحدث ان هاج او ماج قبل ذلك .

- هل كان هائجاً حين رايته ؟ اقصد هل كان جامحاً على غير عادته ؟

- كلا .. فقد كان هادئاً جدا وكان المناخ اكثر من رائع : واضاف ان المكان كان خالياً من المارة لأن هناك طريق آخر يسلكه الناس لاختصار الوقت وقد شاهد فى ذلك الصباح رجلاً او رجلين يركب دراجة بخارية والآخر يمشى على قدميه وكانا بعيدين عنه بحيث لا يستطيع تحديد ملامحهما بدقة كما راى قبل ذلك بكثير السيدة العجوز مسز لى او هكذا تخيل وهى من عادتها السير على قدميها صباحاً ومساءً فى هذا الطريق وهنا نهض المحقق متسائلاً لماذا لم تحضر مسز لى لكى تدلى بأقوالها ولكن اثبتت التحريات انها غادرت القرية منذ ايام ولا احد يعرف عنها شيئاً وهى دائماً تفعل ذلك دون ان تخطر احد بمكان رحيلها وان غيابها شيئاً طبيعياً وعاد المحقق يسال الحطاب العجوز .

- هل انت واثق من رؤية المراة العجوز ..؟

- لا استطيع ان اجزم بذلك يا سيدى .. لست متاكدا فقد كانت امراة طويلة القامة ترتدى معطفاً قرمزى اللون كمعطف مسز لى ولكن لم اهتم بها فقد كنت منهمكاً فى عملى ربما تكون هى وربما غيرها لا استطيع ان اجزم بالضبط وعاد المحقق يسألنى عن اسئلة اخرى عن مسز لى.

- هل تعرف انت وزوجتك مسز لى ؟

- نعم معرفة جيدة .

- هل تجانبت معها اطراف الحديث ؟

- نعم .. عدة مرات او بمعنى ادق هى التى كانت تتحدث إلينا .

- هل قامت ذات مرة بتهديدك ان وزوجتك؟

- نعم ولكن لم يخطر على بالى ان اهتم بما تقول وتتوعد .

- ماذا ..؟!

- اعنى اننى كنت اظن انها تنطق كذباً .

- هل كان واضحا انها تحقد على زوجتك؟

- قالت زوجتى ذات مرة انها تشعر بان لى تحقد عليها .

- هل حدث ان قمت بتهديدها او طردها من اراضيكما او اغلظتما معاملتها ؟

- كان ردا فقط على عدوانها علينا .

- هل ظننت انها مجنونة ؟

- نعم خامرنى إحساس بذلك فقد كانت تعتقد ان الأرض التى بنينا عليها بيتناً كانت ملكا لها ولأهلها من الغجر كانت تظن ذلك . وكانت شديدة القناعة بذلك.

- الم تحاول ان تعتدى على زوجتك ذات مرة..؟!

- كلا .. كانت محاولاتها شفهية فقط كالتهديد بما ينتظرنا من لعنة الغجر .

- هل ذكرت كلمة الموت امامكما ..؟!

- نعم .. ولم نعبأ بما كانت تقوله

- وزوجتك .. هل ازعجها ذلك القول ؟

- اخشى انها اقدمت على ذلك فإن العجوز كانت تثير فزعها وخوفها ولا اعتقد انها مسئولة عما كانت تنطق به .

وانتهت إجراءات التحقيق دون الوصول إلى نتيجة مؤكدة سوى ان الموت كان نتيجة حادث دون الاستناد على دليل وبرهان عمن تسبب فى وقوعه وتم تأجيل التحقيق لحين حضور مسز لى العجوز الغجرية .

الفصل التاسع عشر

فى اليوم التالى توجهت إلى حيث يقيم الميجور فيليبوت وقد سالته عما أجاب به الحطاب العجوز خاصة فيما يتعلق بالسيدة العجوز وقلت له :

- انت تعرف هذه السيدة جيدا فهل تتصور انها قادرة على ارتكاب هذه الجريمة ؟

- لا اظن ذلك يا مايكل فلا يوجد سبب قوى لارتكابها مثل هذه الجريمة المتعمدة خاصة وان زوجتك لم تتعرض لها .

- إذا كان ذلك كذلك فلماذا كانت تظهر لنا بهذه الصورة المخيفة لتهديدنا ومطالبتنا بمغادرة المكان .. لقد كانت تحقد علينا وهى لم تعرفها ابدا .

لم يكن بينهما شيئاً فى الماضى فإن ليللى كانت امريكية غريبة عليها .

- اعرف ذلك يا مايكل .. لكن هناك شيئا لا تفهمه يا مايكل .

- اعنى قبل زواجك من ليللى هل كانت تسكن بالقرب من هذا المكان ؟

- كلا .. كلا.. وانا متاكد من ذلك ولم يسبق لها المجىء للإقامة هنا فقد التقيت بها مصادفة ورحت اضحك فى نوبة هستريا لاحظها الرجل ورويت له قصة مجيئى إلى هنا ولقائى بها بعد ان قرات إعلان البيع .

- فعاد يقول كمحقق .. هل شعرت انها متشائمة..؟!

- كلا .. نعم .. كلا .. الواقع انها كانت خائفة وان شخصاً ما اراد ان يخيفها عن عمد وسوء قصد .

فبدا لى الميجور حائرا مما اقول وهو يتساءل من هذا الشخص ؟

- اعنى تلك الغجرية وإن كنت غير واثق من ذلك لكنها كانت تتعمد ان تهدد ليللى من لعنة هذا المكان ولابد لها من مغادرته فورا .

- فقال غاضباً .. معقول .. ليتنى علمت بذلك لو كنت قد علمت لذهبت إليها واوقفتها عن هذا العبث والهراء وهددتها بالطرد .

- وسالته انا بدورى .. لكن لماذا اقدمت على هذا ؟ ما السبب ؟

- اجاب فيليبوت .. انها مولعة بإنذار الناس لإضفاء نوعاً من الهيبة على نفسها وهى تهوى قراءة الطالع ليهتم الناس بها .

- قلت .. لنفرض أن هناك من عرض عليها ما لا وقد علمت انها تحب المال .

قال : نعم هى تحبه كثيرا ولكن من الذى اوعز إليها بذلك .

- قلت .. ضابط النقطة كينى

- هز راسه قليلاً وهو يقول .. ربما .. ربما

- واردف يقول .. لا اظن انها وراء الحادث .

- قلت .. لا اقصد انها تعمدت قتلها ولكن من الممكن ان تثير خوف الجواد وإثارته .

- قال : يبدو لى ان هذا احتمال بعيد جدا عن الواقع .

- قلت : هل حقاً كان هذا المكان ملكا لها فى يوم من الايام ؟ اقصد الأرض ؟

- قال : كلا .. إن الغجر قد ابعدوا منها مرات عديدة .

- قلت : ولكن هل كانت تحقد عليها لسبب اخر .

- فقال مندهشاً : سبب اخر كيف ذلك ..؟

فكرت برهة وانا انظر إلى سقف الحجرة ثم قلت له :

- ما انطق به سوف يكون غريباً على سمعك.. فقد قال كين ان شخصاً ما دفع لها مبلغاً من المال لكى تفعل ذلك وهنا يتبادر إلى ذهنى ان شخصاً ما يرغب فى تخويف ليللى لغادرة الأرض ثم يعاد طرحها للبيع ليستفيد منه شخصياً .. هذا رجل يريد الاستيلاء على ارضنا.

- فقال فيليبوت : هذا ظن معقول ولكنى لا ارى سببا منطقيا يدفع احد لذلك .

- قلت : ربما يوجد كنز فى الأرض لا يعرف عنه احد شيئا .

- قال : ربما اشك فى ذلك .

- قلت : كنز مدفون من سرقة احد البنوك.. انا اعرف ان كلامى سخيف .

- هز فيليبوت راسه وهو يشعر بالحيرة فقلت: اننى اقترح ان نعود خطوة للخلف فربما كان هناك شخص يقف خلف مسز لى وقد دفع لها مبلغاً من المال لإيذاء ليللى وهذا الشخص هو العدو اللدود لها .

- فقال : هل هناك احد تشك فى ارتكابه لهذا التصرف .

- قلت : كلا فهى لم تعرف احدا ولم تكن على صلة وثيقة باحد فى هذا المكان ونهضت اقول .. آسف لإزعاجك .

- فنهض معى قائلاً : اتمنى أن اساعدك

وخرجت من الباب وانا اتحسس باصابعى شيئاً كنت اضعه فى جيبى ثم التفت فجاة وعدت إلى الغرفة وانا اقول .

- هناك شيئاً اريده لك .. كنت ذاهباً الآن لكى اريه للضابط كين ودسست يدى فى جيبى واخرجت منه حجرا صغيرا مستديرا ملفوفاً فى قصاصة من ورق عليها كلمات مكتوبة بحروف مطبعية واردفت اقول له .

- هذا الحجر القاه شخص ما من خلال نافذة الطعام وقد حطم الزجاج وسبق لهذا الشخص ان صنع ذلك فى اول ليلة قدمنا فيها إلى المنزل ولا اعرف هل هو نفس الشخص الذى القى به هو نفسه الذى يقف وراء الحادث؟

- واخذت الورقة الملفوفة وناولته اياها .. كانت ورقة قذرة ردينة المظهر كانت رسالة قصيرة تقول : "زوجتك قتلتها امراة" .

واحضر فيليبوت نظارته الطبية لقراءته وهو يقول .. اوه هذا عجيب ولكن اين الورقة التى القى بها فى المرة الأولى مع الحجر .

- لا استطيع ان اتذكر الآن ولكن كانت نصوصها عبارة عن إنذار لمغادرة المكان وكنت اظن انه عبث اطفال .

- هل تتوقع ان الذى القاها يعرفكما ..؟!

- انه مجرد اتهام خبيث من مجهول لتشتيت افكارنا وإثارة حيرتنا.

- انك على حق على الذهاب إلى الضابط كين فهو عليه بهذه الرسائل المجهولة اكثر منا نحن.

وذهبت إلى نقطة البوليس وارتسمت على ملامحه امارات السرور وقد قال :

- هناك اشياء عجيبة تحدث لنا هنا .

- قلت .. هل تظن ان هذه الرسالة تعنى لك شيئاً

- قال : من المستحيل ان افهم منها شيئاً فلعل شخصا يريد تضليلنا وتوجيه اصابع الاتهام لامراة لغرض فى نفسه .

- قلت .. قد يقصد أن يشير بالاتهام إلى مسز لى العجوز .

- قال : كلا .. فهو يقصد امراة أخرى وهذا مؤكد .

قلت : وماذا عن المراة الغجرية ؟ هل عثرتم عليها ؟

هز راسه فى بطء وقال : إننا نعرف انها تغيب عن القرية كثيرا وانها تذهب إلى شرق إنجلترا وان لها اقارب هناك من الغجر لكنها ليست هناك كما تحققنا فلم يؤكد احد هناك رؤيتها لها فربما ذهبت إلى ابعد من ذلك .

- وقلت مستغرباً بعد كلامه: انا لا افهم شيئا .

- قال .. عليك ان تفهم انها علمت بمقتل زوجتك وهى تعرف انك ستشير باصابع الاتهام نحوها بسبب تهديداتها لكما وهو ما دفعها للاختباء وتتجنب الظهور فى الأماكن العادية .

- قلت .. ولكن يجب العثور عليها .

- قال .. بالطبع سوف نعثر عليها ولكن مثل هذه الأمور تتطلب وقتاً كبيرا

- ولكن هل تظن ان الأمر قد حدث هكذا ؟

- إننى اتساءل هل دفع لها احد مبلغاً من المال لكى تفعل ما فعلت ؟

- لو كان ذلك صحيحاً فسوف تغادر القرية

- لكن شخصاً اخر سيتولى القيام بذلك يجب ان نفكر فى هذا يا مستر روجرز قلت متنهدا، هل تقصد الشخص الذى دعمها بالمال ؟

- فقال : نعم اقصد ذلك .

- قلت : لنفرض ان هذا الشخص كان امراة .

- قال : لنفترض ان شخصاً آخر خطرت له نفس الفكرة وارسل لك هذه الرسالة، فلو ان الموضوع يتعلق بامراة فحتماً سوف يتملكها الخوف والرعب وستقول إنها لم تكن تقصد ذلك وسوف تقول إنها ارادت تخويفها فقط لإبعادها عن المكان .

- كلا .. لم تكن تهدف إلى موتها .. إنما كانت تهدف لإزعاجنا فقط لمغادرة المكان .

- و الآن من هو الذى سيسيطر عليه الخوف؟ هل المراة التى تسببت فى الحادث ؟ اعنى مسز لى؟ لهذا يجب العثور عليها لتقول لنا من الذى امدها بالمال لإخافة ليللى زوجتك ؟

- هل تقصد تلك المراة المجهولة التى فرضنا وجودها دون ان نعلم ان لها وجود حقا؟

- نعم فهناك شخص ما قام بتحريض مسز لى وهذا الشخص سواء كان رجلاً او امراة سيعمل على إسكاتها باسرع ما يمكن وهذا مؤكد .

-إذن انت تظن انها ماتت .

- اجاب الضابط كين .. هذا احتمال وارد بالطبع .

- ثم غير دفة الحديث فجاة وهو يقول : إنك تعرف تلك الخلوة يا مستر روجرز الموجودة وسط الغابة داخل اراضيك ؟

- فقلت .. نعم لقد كنا نقضى فيها بعض الأوقات انا وليللى ما شانها ؟

- قال .. حين قمنا بتحرياتنا فيها لم يكن بابها مغلقاً .

- قلت .. وماذا فى ذلك ؟ .. إننا نتعمد عدم إغلاقه حيث إن لثاثه لا قيمة له.

- قال .. تصورت ان مسز لى من المحتمل ان تستخدمه ولكننا فشلنا فى العثور على اى اثر لها وإن كنا قد عثرنا على هذا .

- وفتح درج مكتبه واخرج منها قداحة ذهبية صغيرة جميلة

الصنع يدل مظهرها على انها من تلك التى تستعملها النساء وعليها الحرف الأول من اسم صاحبتها (ك) . وبالطبع فهى ليست ملك لزوجتك اليس كذلك .. ؟!

- قلت : نعم فإن اسمها لا يبدا بحرف الكاف ثم انها لا تملك شيئا من هذا وجريتا ايضاً لا يبدا اسمها بحرف الكاف .

قال : لقد عثرنا عليها هناك داخل الخلوة وهى قداحة ثمينة كما ترى .

فكرت قليلاً ثم قلت .. ك .. ك .. لا ارى احدا يبدا اسمه بحرف الكاف سوى كورا زوجة ابيها ولكن من العسير ان تذهب إلى الغابة للوصول إلى تلك الخلوة . ومع ذلك فلم الاحظ انها قد استخدمتها امامى وربما تعرف مسز جريتا هذا اكثر منى .

- إذن لك ان تاخذها معك لتعرضها على مسز جريتا .

- حسناً سافعل ولكن كيف ذهبت كورا إلى هناك؟ اين وجدتها يا سيدى ؟

- كانت ملقاة على الأرض .

- نعم إلى جوار الأريكة، ولكن تذكرت هناك مسز كلوديا ولكن لا اظن انها تستطيع ان تمتلك مثل هذه القداحة الثمينة ثم لماذا ستحملها معها إلى هناك ..؟

- هل كلوديا صديقة زوجتك ..؟

- نعم وهى اعز صديقة لها .

- آه ..!

- نظرت إلى كين مستغرباً وانا اقول لعلك ظننت ان كلوديا كانت تحقد على ليللى . إن هذا شيئاً سخيفا لا اظنه .

- قال : اوافقك فى ان كلوديا لم تظهر عداوتها لإيللى ولكنك لا تعرف ماهية النساء .

- قلت .. ربما واردفت اقول ثم امسكت عن الكلام فقال كين .

- نعم يا مستر روجرز ؟

- قلت .. اظن ان كلوديا كاسل كانت متزوجة من امريكى يدعى لويد وهذا اسم احد الأوصياء الذين يتولون الإشراف على ثروة زوجتى فى امريكا ولكن هناك فى امريكا الافا بهذا الاسم .. اوه انها مصادفة غريبة لو كان هو زوجها .

- قال : احتمال غير وارد .

- اكان غريباً اننى تخيلت رؤية لويد وكلوديا امام المطعم يوم الحادث .

- واردف كين يقول .. هل جاء ذات مرة لزيارتك ؟ - قلت .. رايته امام المطعم يوم الحادث مع سيدة شبيهة بكلوديا ولكن لا اظن انها هى ثم الا تعرف ان اخاها هو الذى تولى بناء البيت ؟

- قال .. هل ابدت اهتماماً ما ببيتكما الجميل ..؟

- كلا .. هى لا تهتم بفنون العمار .

- ونهضت وانا اقول : .. عفوا لإزعاجك فقد شغلت وقتك كثيرا حاول العثور على الغجرية .

- فقال .. لن تكف عن البحث عنها فالمحقق يريد استجوابها .

ودعته وغادرت نقطة البوليس ووقعت عينى على كلوديا تخرج من مكتب البريد وتوقف كل منا وقالت مرتبكة.

- إننى آسفة لموت ليللى : فلا املك ان اتحدث باكثر من هذا سوى اننى آسفة لموتها .

- قلت : اعرف انك كنت تحبينها وانا اشكرك لذلك .

- قالت : سمعت انك ذاهب إلى امريكا وانا ارغب فى ان اسالك .

- قلت : تفضلى فانا سوف اذهب بالفعل حالاً إلى هناك لإنهاء بعض الأمور .

- قالت : إذا كنت ستنوى بيع البيت بعد مجيئك من امريكا فمن الخير لك ان تبيعه الآن لى بحق الشفعة قبل مغادرتك إلى هناك .

- نظرت إليها مذهولاً مما تقول وقلت لها:

- هل تهتمين بهذا الطراز لقد ظننت انك لا تبالى به ابدا .

- لقد قال لى رودلف انه اجمل بيت شيده . ولكن اعرف انك ستبيعه بمبلغ باهظ لا املكه ولكنى ارغب فى شراءه .

-يا إلهى ماذا تقول هذه المراة المجنونة .. لقد تجاهلت روعة بيتنا حين جاءت لزيارته وهززت راسى.

- ظننت اننى سابيعه وهذا مستحيل فسوف اتمسك به وباراضى الغجر مهما حدث وعلى اية حال فإننى أود ان اعرف هل كان زوجك يدعى ستانفورد لويد ؟

نظرت فى فزع وحيرة وكان صاعقة اصابتها وقالت :

- نعم .. ثم انصرفت بعيدا عنى .

الفصل العشرون

انقلبت بريطانيا على اثر سمعها بنبأ موت ليللى وهاهى دور الصحف تتوافد على بيتنا للاستفسار عن حقيقة موت ليللى أغنى فتاة فى العالم بل هناك آلاف من الخطابات والبرقيات تدعونى لأن أتحلى بالصبر وقد تولت جريتا الرد على هذا كله . أما المفاجأة الغريبة اننا علمنا ان اسرة ليللى لم تكن موجودة فى امريكا بل يقيمون معنا فى إنجلترا وبالذات مسز كورا وفى يوم الحادث كانت تبعد عنا نحو خمسون ميلاً فقط كانت مشغولة فى شراء بيت فى بريطانيا وقد التقت مع الوسطاء لشراء منزل جديد لها .

اما ستانفورد فقد استقل طائرة لحضور اجتماع فى لندن وقد علم مع كورا بموت ليللى من الصحف المحلية ودار نزاع سخيف حول مكان دفن ليللى وكنت قد تمسكت بدفنها فى نفس المكان الذى التقيت بها فيه ولكن اسرة ليللى كانت شديدة التمسك بدفن جثتها مع اجدادها فى امريكا . وجاءنى اندرولينكوت وهو يقول الم تترك وصية بدفنها فى مكان ما ؟

- فقلت فى حدة : ولماذا تترك وصية وكانت فى ريعان الصبا ؟ إنها لم تكن تتوقع ذلك ثم من يتوقع موته وهو فى الحادية والعشرون من العمر.

- فقال : هذا كلام منطقى لك كل الحق فيه ولكن لابد من مجيئك إلى امريكا فهناك مصالح هائلة تتطلب وجودك .

- قلت : ماذا تقصد ؟ وما شانى انا بالأعمال ؟

- قال : كيف وانت الوريث الوحيد لها الآن؟

- قلت : هل تقصد اننى اقرب قريب لإيللى ؟

- قال .. طبقاً لبنود الوصية .

- قلت .. ولكننى لا اعرف شيئاً عن هذه الوصية؟

- قال : اوه .. لقد كانت ليللى سيدة اعمال ماهرة وحررت وصيتها بعد زواجها منك عند المحامى وارسلت لى صورة منها وتردد وهو يقول .. إذا جئت إلى امريكا فينبغى عليك ان توكل محامى معروف هناك بقضاء مصالحك .

- قلت : ولماذا ؟

- قال .. حين تكون هناك سندات ومشروعات وعقارات واستثمارات يجب ان تطلع عليها لإنهاء مصالحك .

- قلت : ولكننى لست ماهرا فى مثل هذه الأمور المالية .

- قال : اتفهم ذلك .

- قلت : الا يمكنك تولى امورها ؟

- قال : حسناً انا على اتم الاستعداد لذلك .

- قلت .. اشكرك انت رجل طيب وكريم .

- ونظرا إلى متضايقاً وهو يقول .. هل تسمح لى بسؤال وسعدت بقوله وقد اجبته بنعم قال .

- كن حريصاً عند توقيع اى مستند يقدمه احد إليك بعد الآن .

- ولكننى لا افهم شيئاً من هذه المستندات ؟

- إذن الجا إلى مشورة محاميك الخاص .

- هل تحذرنى من شخص ما ..؟

- قال قد يكون ولكن ينبغى عليك ان تكون حريصاً فى كل شىء فالثروة كبيرة جدا، كان يحذرنى بالفعل من شخص ما ولكنه رفض الإفصاح عن هويته ولا اعرف هل كان يحذرنى من كورا أم من لويد أم من العم فرانك؟ يا إلهى ما ابشع الثروات الكبيرة التى تكشف عن هوية الذئاب والثعالب .

وهنا قال مستر لينكوت قاطعا حبل خيالاتى..

- الدنيا مليئة بالذئاب والثعالب .

- قلت .. لا اريد ان اعرف منك شيئاً .. هل هناك احد يستفيد من موت ايللى؟

- قال .. هذا سؤالى غريب لماذا تساله؟

- قلت .. لا اعرف ولكننى افكر فيه .

- قال : انت المستفيد الوحيد .

- قلت .. هذا معروف ولكن هل هناك احد غيرى؟

- قال .. نعم فقد اوصيت ببعض ثروتها لبعض الخدم الذين عملوا

معها واظن ان من بينهم مسز جريتا ولكن ؛كان نصيبها ضئيلا إلى جانب جمعيات خيرية اوصت لها وعلى اى حال كن حذرا فاصول ثروات ليللى كانت ضخمة جدا وهنا سيظهر لك بعض المنتفعين للاستفادة من موتها الفاجئ .

ذهبنا إلى كنيسة صغيرة لحضور قداس الجنازة وسط جمع غفير من الناس يتفحصوننى كوريث وحيد لها، ونجحت جريتا فى شق الطريق لى وسط هذه الجمهرة الغفيرة فادركت مدى نفوذها وقوة شخصيتها .

كنت اعرف بعض الحاضرين من جيراننا فى البيت الجديد ثم وقع نظرى على رجل رايته ذات مرة وانا كنت لا اتذكر من يكون بالتحديد وعدت إلى البيت عقب انتهاء مراسم الجنازة وقد اخبرنى الخادم بان شخصا ما يريد مقابلتى فقلت له اصرفه فانا مرهق بعض الشىء فعاد يقول : انه قريبك، فصرخت اقول قريبى من هو فتناولت بطاقة تعارف مكتوب عليها ويليام ربادرو ثم قدمتها لجريتا وانا اقول :

- هل تعرفين من هذا ؟ انه وجه مالوف لى ولكن لا اعرفه انه على ما اظن انه احد اقارب ليللى .

- ثم قالت : طبعاً انه الخال روبين .. هل حدثتك عنه ..؟!

- وذهبت إليه فى غرفة الاستقبال ونهض مستر روبارود واقفا وقال :

- مليكل روجرز ربما لا تعرفنى ولكن زوجتك كانت تدعونى بالخال روبين ولكننا لم نلتق فهذه اول مرة ازور فيها انجلترا منذ زواجكما .

- فقلت : اعرف جيدا من تكون .

- كان روبين رجلا طويل القامة ضخم الجسم عريض المنكبين بشوش الوجه مستمع جيد وقد عاد يقول :

- لا اظن اننى بحاجة لكى اصف لك صدمتى من موت ليللى .

- قلت : دعنا من هذا فانا لا اريد ان اخوض فى هذا الامر ومع ذلك شعرت بالضيق وقلت امام جريتا التى اسرعت بالحضور .

- هل تعرف مس جريتا ..؟!

- قال : طبعاً .. كيف حالك يا جريتا؟

- قالت : خيرا . متى وصلت إلى انجلترا ؟

- قال : منذ اسبوعين .

- قلت : اننى رايتك قبل اليوم .. بل منذ ايام قليلة .

- قال : صحيح .. اين ؟

- قلت : فى صالة المزادات بيارتنجتون مانور.

- قال : تذكرت .. نعم .. نعم .. وكنت تجلس مع رجل له شارب اسمر خفيف .. وكنتما سعيدان للغاية .

- قلت .. كان اسعد ايام حياتى .

- قال : لم تكن قد عرفت بالحادث طبعا

- قلت .. توقعنا ان تلحق ليللى بنا لتناول الغداء .

- قال الخال روبين : يا لها من مأساة بشعة.

- قلت : نعم .. لم اكن اعلم بوجودك فى إنجلترا وكذلك ليللى ايضاً .

- قال: نعم فقد كنت منهمكا فى بعض الأعمال، ولم اشا القيام بزيارتكما.

- قلت .. هل جئت إلى إنجلترا فى زيارة عمل؟

- قال : جئت من اجل كورا فقد استدعتنى للمشورة فى شراء بيت جديد لها .

- قلت : لم نكن نعرف انها هنا ايضاً.

- قال: لقد كانت قريبة منكما.

- قلت : نزلت فى احد الفنادق ..؟

- قال : بل نزلت لدى إحدى صديقاتها .

- قلت .. لا اعرف لها صديقة فى هذا المكان.

- قال : لها صديقة .. اظن انها هارد كاسل .

- صرخت وانا اقول مفزوعاً تقول كلوديا هارد كاسل ..؟!

- قال: نعم، إنها صديقة كورا منذ زمن معيشتها فى امريكا.

- قلت : إننى اعرف القليل عن شئون العائلة.

- والتفت إلى جريتا وانا اقول .. هل كنت تعرفين ان كلوديا

صديقة لكورا .

- اجابت جريتا .. لا اظن اننى سمعتها تتحدث عنها فربما كان هذا هو السبب فى ان كلوديا لم تات فى ذلك اليوم .

- قلت : بالطبع فقد كانت على موعد معك للذهاب إلى لندن .

- قالت : نعم ولكنها لم تات واتصلت بى هاتفيا قبل خروجى وقالت إن زائرة امريكية اقبلت فجاة إلى لندن ولنها لا تستطيع مغادرة بيتها .

- قلت .. ولماذا لا تكون كورا هى الزائرة نفسها ..؟!

- قال روبين : هذا شىء واضح .. إن الأمر بدا مرتبكا وغامضا .. هل تم تاجيل التحقيق؟

- قلت : نعم .

- نهض واقفاً وهو يقول : الآن اود الانصراف وإذا اردت معاونتى فانا اقيم فى فندق ماجستيك بماركتيه شادويل وانصرف على الفور .

- وقالت جريتا : لماذا جاء هذا الرجل ولماذا أصر على لقاءك .. إننى اتمنى ان يعودوا جميعاً من حيث جاءوا إلينا.

الفصل الحادى والعشرون

وصلت إلى نيويورك وقد وصلتنى أخبار من كينجزبيشوب تؤكد عثور رجال البوليس على جثة مسز لى فى مكان مهجور طرف الجبل وكان موتها يعود إلى أيام مضت وعثروا على مبلغ مالى معها يصل إلى ثلاثمائة جنيهاً واضاف الميجور فيليبوت يقول فى برقيته إننى ساعرف انك ستحزن إذا عرفت أن كلوديا قد وقعت من على ظهر الجواد وماتت على الفور".

يا إلهى كلوديا ماتت .. شعرت بالغثيان شخصان يموتان فى أسبوع واحد بطريقة غامضة وكانها مصادفة والثالثة ماتت العنس الغجرية العجوز .. وعدت اتذكر ليللى التى جاءت من أسرة غنية جدا إلى انجلترا وكانها جاءت من اجلى فقط لكى تهبنى ثروتها .. تذكرتها وهى تغنى على قيثارتها فى رقة وعذوبة

كل صباح وكل ليل

يولد البعض للسعادة والهناء

قلت : كان هذا صحيح بالنسبة لك انتى يا ليللى فقد ولت للسعادة وللهناء لكن سعادتك كانت قصيرة وانتهت بسرعة غريبة وعدت هنا حيث لا سعادة ولا هناء . لكنك عدت إلى اهلك واجدادك وعشيرتك عدت إلى موطنك إلى منيتك إلى اصلك .. وعلى غير العادة رحت اتساءل .. اين سيدفنونى حين اموت ؟ هل فى اراضى الغجر ؟ هذا جائز وسوف تاتى لتلقى النظرة الاخيرة على جثمانى هذا إن لم تمت

قبلى نعم ستاتى وترانى وانا اوارى التراب وطردت شبح أمى من خيالى فقد كنت ابغضها لصراحتها وشدتها ولهفتها على اخبارى .. لقد كانت تثير حفيظتى بكلامها الساخن دائماً وفكرت فى وجهها وكأنه وجه إنسان امقته لا اعرف لماذا رغم اننى لم اقدم لها شيئاً يسعدها فهى كانت تفتقد السعادة دائماً وعدت اطردها من خيالى مرة اخرى .

المهم .. بقيت فى امريكا وقتاً طويلاً لا اذكر كم يكون ولكن عذبتنى نظرات الناس كوريث وحيد للراحلة ايللى واقترب منى البعض تملقاً وتزلفاً فقد صرت رجل واسع الثراء ولا حيلة لى فى ذلك، كنت املك استثمارات كثيرة وسندات هائلة وعقارات واصول ومحلات تجارية مختلفة لك اكن اعرف عنها شيئا ابدا وقررت مغادرة امريكا، حيث سئمت وجوه الأمريكيين ومعاملتهم . وتحدثت فى اليوم السابق لسفرى إلى لندن مع مستر ليبنكوت حديثا طويلا وكنت اناديه بمستر ليبنكوت ولم اناديه بالعم فرانك .

اخبرته اننى انوى سحب جميع استثماراتى من مستر ستانفورد لويد فرفع حاجبيه وهو يقول فى دهشة :

- احقاً ستفعل ذلك ..؟!

واستغربت لسؤاله وانا اقول : هل تعتقد ان من الحكمة ان افعل ذلك ؟!

- فقال : قد يكون لديك اسباب لذلك ؟

- قلت : كلا لا توجد عندى اسباب ولكنه إحساس داخلى فقط واظن اننى سارحل بما فى نفسى وارجو ان يكون ذلك سرا بيننا .

- قال : إن ما ستقوله سرا دفيناً تاكد من ذلك .

- قلت : عندى خاطر يقول إنه نصاب .

- فابدى العم فرانك اهتماماً بالغاً وهو يقول نعم اشاركك هذا الإحساس :

- وقلت .. بعد ان وقعت على تفويض .. هل تقبله هذا التفويض .

- قال .. لك ان تثق فى فسوف اسهر على شئون ثروتك بكل إخلاص .

- ولكن اين ستقيم فى إنجلترا ..؟

كنت شاردا افكر فى امر العم فرانك، وهل سيكون امينا كما يقول ام لا؟

- وتنبهت لسؤاله وانا اجيب .

- ساقيم فى اراضى الغجر .

- هل تنوى الإقامة هناك؟

- نعم ارغب فى البقاء هناك.

- ظننت انك ستعرضه للبيع .

- كلا .. قلتها بحدة وتحدى .

- هل هناك من يرعى شئونه اثناء سفرك ؟

- تركته فى رعاية جريتا اندرسون .

- آه .. نعم جريتا .. قالها بطريقة تدل على كراهيته لها والواقع اننى لم اعبأ بذلك . وساد الصمت بيننا ثم قطعته قائلاً :

- انها شخصية جديرة بالاحترام .. ساعدت ليللى كثيرا فى حياتها وفى مرضها . وكانت ليللى تعشقها والحق انها مخلصة وامينة .

- نعم .. نعم .. اتفهم موقفك فهى فتاة جيدة .

- ونهضت من مكانى حتى بادرنى قائلاً : لقد كتبت لك رسالة ستصلك قبل ان تذهب إلى لندن

واردف يقول .. اتمنى لك رحلة سعيدة .

- وحين عدت إلى الفندق وجدت برقية فى انتظارى تطلب منى الذهاب إلى مستشفى بكاليفورنيا يخبروننى فيها أن صديقى المهندس سانتونيكس يرغب فى رؤيتى قبل ان يموت . وغيرت موعد سفرى على الطائرة وحجزت مكاناً فى الباخرة .

وتوجهت بطائرة داخلية إلى المستشفى لزيارة صديقى وقد كان يدنو من الموت ورأيته شاحب الوجه لا يستطيع الكلام قالوا انه تمنى ان يقول لك شيئاً كان شبح الموت بادياً على وجهه الأصفر وانتحيت بالمرضة قائلا:

- هل يمكن لى ان اقدم شيئاً لمساعدته؟ اجابت كلا فقد يعود إلى رشده او لا يعود .

- وجلست امامه ثم تحرك فجاة وقد قال لى فى حدة:

- انت ايها الاحمق الجاهل .. لماذا لم تسلك الطريق الآخر ..؟!

ثم فاضت روحه دون ان يوضح لى ما يريد .

الفصل الثانى والعشرون

ماذا يحدث لى يا إلهى .. إن كل من كانوا حولى يتساقطون ماذا ينتظرنى ؟ وماذا كانت تعنى كلمات صديقى المهندس .. على اية حال ينبغى أن أعود إلى بيتى فى اراضى الغجر وتذكرت احداث لقائى مع ليللى بين أشجار الشوح وفى احد المطاعم وعند احد المحامين لتوثيق زواجنا يالها من ذكريات جميلة .. كم تمنيت ان تدوم للأبد ولكنه هادم اللذات قد حرمنى منها .

قبل مغادرتى نيويورك أرسلت برقية إلى الميجور فيليبوت انه يفهمنى بسهولة عن اى احد .. فقد كان يعرف قوة العلاقة بين ليللى وجريتا ولاحظ اعتماد ليللى على جريتا وخطر له اننى ساحذو حذو ليللى .. كتبت إليه اقول :

- "اريد ان تكون انت اول من يعرف فقد كنت كريما معى واظن انك انت الوحيد الذى تتفهم موقفى لننى لا استطيع الإقامة وحدى فى اراضى الغجر واستقرت نيتى على الزواج من جريتا بمجرد عودتى واظن انها سترفضنى ولكنى ارى انها -يجب عليك الرضوخ لهذه الرغبة فى نهاية المطاف حتى اشعر وكأن ليللى لم تبعد عنى". كتبت الرسالة عدة مرات وبعثت بها بعد ان راق لى ما عبرت عنه، ثم توجهت نحو الباخرة وانا اقول ليت سانتونيكس كان حيا الآن كى يرانى وانا اغادر هذه البلاد السخيفة بلاد اللصوص والنصابين والدهماء .. نعم كنت اكرههم كما يكرهوننى فانا عائد إلى بلادى الجميلة باكاليل النصر عائد إلى الغابات واراضى الغجر واشجار الشوح والطرق الملتوية الخطيرة عائدا إلى بيتى الذى حلمت به كثيرا وتمنيت من اعماق القلب ان ارى امراة رائعة جميلة ثرية مثل ليللى وحدث ما حلمت به .

-ونزلت من محطة القطار داخل قريتنا ودلفت إلى منزلى دون ان يرانى احد كان الليل قد اسدل ستاره وها انا اتذكر الخدعة التى

مثلتها فى البداية نعم فقد تظاهرت بالكراهية نحو جريتا وانطلت على الجميع وتذكرت الشجار الذى دب بيننا وسمعت ليللى صراخنا .

الحقيقة اننى التقيت مع جريتا فى هامبورج وكانت شديدة الطموح مثلى .. تريد أن تطوف العالم وتصبح أميرة لها نفس افكارى وخيالاتى واحلامى وقالت فى هذا اللقاء :

- لكى تحصل على كل ما تريد من الحياة يجب وجود المال .

- قلت لها اعرف ذلك .. ولكن كيف احصل عليه .

- فقالت : ليس عن طريق العمل الشاق فمثلك لا يحب العمل .

قلت : كيف إننى صغير السن ويجب ان اعمل واكد واشقى من اجل إحراز ثروة كبيرة تساعدنى على تحقيق احلامى .

- فقالت : اوافقك ولكن هناك وسيلة اخرى لجمع المال بسهولة ويسر ويدهشنى انك لم تفكر فيها فانت فتى جذاب وسيم .

- قلت .. انا لا اهتم باى فتاة سواك يا جريتا فانا احبك منذ ان رايتك .

- قالت : نعم وانا احبك ايضاً .. ولكن يمكنك الزواج من فتاة غنية هى اغنى فتاة فى العالم ويمكن لى ان ادبر لك هذا الأمر .

- قلت : لا تكونى حمقاء .

- قالت: كلا .. انا لست حمقاء هو امر سهل يسير .

- قلت : هذا لا يروق لى وهذا لا يناسبنى فانا لا احب ان اعيش عالة على احد .

قالت : لن تكون عبدا لها فهذا لن يطول بحال من الأحوال .

- فحدقت فيها مذهولاً .

- فقالت : صدمت شعورك ؟!

- قلت: كلا.

- قالت .. إننى اود مساعدتك فى الزواج من اغنى فتاة فى العالم .. إننى مسئولة عنها .

- فقلت : هل تظنين انها ستبادلنى الحب .

- قالت .. انت شاب وسيم جذاب تثير راس الفتيات بسهولة وهى ليست لها تجارب حيث إن اهلها يفرضون عليها حصارا حديديا خوفا من وقوعها فى يد احد الأفاقين وسوف تنفتح لك بسهولة .

قلت : احاول .

- قالت .. دع لى هذا الأمر .

- قال : اخشى من اسرتها .

- قال : سيعرفون بعد زواجك منها سرا

- قلت : إذن هى فكرتك ..

وبحثنا فى الأمر بعناية فائقة ودبرنا الخطة المحكمة فى اطار دقيق حيث تظاهرت امام ليللى اننى غير مفتون بالشقراوات بينما كانت الحقيقة اننى كنت مفتوناً بانوثة جريتا وجمالها الطاغى الذى لم ار له مثيلاً فقد كنت ارى انها اجمل فتاة فى الدنيا، ما اسعدنى هاانا احب اجمل فتاة فى العالم واتزوج باغنى فتاة فى العالم بأسره.. يا لى من محظوظ .. ما اروع ذلك.. ثم دبرنا انا وجريتا بدايات لقائى مع ليللى واسرعنا فى إتمام الزواج كما خططنا انا وجريتا قدمتنى ليللى لجريتا فى الفندق وتظاهرت بعدم معرفتى لها وإلى جانب عدم اكتراثى بجمالها الفتان ثم كنت بارعاً فى إظهار الغيرة من جريتا وانطلت هذه الحيلة على المسكينة ليللى التى لم تكن تعرف اننى مخادع

ومحتال ونصاب وآفاق ثم اننى كنت امثل ببراعة الم اقل لكم فى البداية اننى ممثل قدير وبارع وما انا ارى ليللى تطل من بين اشجار الشوح بعيونها تلاحق جسدى لكنها لا تنظر نحوى .. انها تهتم بعيونى .. انا اعرف لماذا ولكن ما هذه القشعريرة التى اصابت جسدى ما هذا الفزع لماذا تسمرت هكذا فى مكانى وكان ليللى استوقفتنى.. وانطلقت فزعاً وخوفاً من شبح ليللى وعدت إلى بيتى إلى حلمى إلى الفتاة التى تنتظرنى إلى جريتا فاتنة الجمال والأنوثة لانها امراة رائعة جميلة مثيرة وسوف نتزوج ونقيم فى البيت فقد حصلنا على كل ما نحلم به وهاهو قد تحقق بسهولة ويسر دون عناء . ودخلت إلى غرفة المكتب، كانت جريتا تنتظرنى .. ياه .. كانت رائعة فاتنة حقاً .. بل كانت اجمل فتاة شاهدتها فى حياتى كانت تفيض انوثة ورشاقة كنت مشتاقاً إليها واتوق إلى حنانها وارتميت فى احضانها وكانت اجمل لحظة فى حياتى على الإطلاق .

وراحت تفض أمامى الرسائل التى وصلتنى وهاهى رسالة العم فرانك قد سبقتنى كما تعهد هو بذلك وتساءلت ماذا كتب فيها ؟!

فاجابت جريتا وهى تشهق فى سرور بالغ .

- حسناً لقد نجحنا .

فصرخت : إذن النصر لنا

- وضحكنا معاً وتناولنا شرابنا ونحن سعداء بتناول الضحكات والنوادر .

وتوقفت عن الضحك وانا اقول ما اروع هذا المكان إن سانتونيكس قد مات .

- فقالت جريتا .. اوه هذا شىء قد احزننى .

- ولكن كيف عرفت .

- قلت : قمت بزيارته فى المستشفى قبل ان يلفظ انفاسه .

- وهل قال لك شيئاً يا مايكل ..؟!

- نعم قال انت ملعون . لماذا لم تسلك الطريق الآخر ..؟!

- وماذا يقصد بالطريق الآخر ..؟!

- اظن انه كان فى حالة هذيان .

- قالت جريتا : هذا البيت يعد ذكرى حلوة لهذا الرجل .. ولكن هل سنظل هنا ..؟

- قلت .. بالطبع سوف اعيش هنا مهما حدث .

- قالت : لكننى احب السفر اريد ان اذهب إلى اليونان وجنوب افريقيا ومصر ولبنان واليابان وجزر هاواى وغيرها من هذه الاماكن .

- قلت .. نعم سنفعل ذلك ولكن علينا ان نعود للإقامة هنا فانا اشعر بالحب لهذا البيت ولن اتركه إلا وانا راحل عن هذه الدنيا .

بدات اشعر بالانزعاج فقد كنت اريد البيت وجريتا معا والآن قد فزت بالبيت اما جريتا فقد بدات تتغير ولها مطالب يا لها من فتاة حمقاء .

- وهنا سالتنى جريتا .

- مايك ماذا بك يا حبيبى ؟ اراك ترتعش هلى اصابتك نزلة برد..؟!

- كلا لا اشعر بذلك .

- إذن ماذا حدث لك يا مايك ..؟!

- لقد رايت ليللى .

- ماذا تقصد ..؟!

- حين وصلت لنهاية الطريق وانعطفت مع المنحنى فوجدتها واقفة بين اشجار الشوح .

- لا تكن احمقا يا مايكل فهذه خيالات واوهام .

- ربما يتخيل المرء اشياء مهما يكن فنحن فى اراضى الغجر .. كانت ليللى واقفة كانت تبدو سعيدة.. نعم سعيدة كما لو كانت ملاكا.

- امسكتنى جريتا من ذراعى وقد هزتنى بعنف وهى تقول .. مايك لا تتكلم هكذا .. إنك مخمور يبدو انك افرطت فى الشراب.

- كلا لم اتناول شرابا، فقد انتظرتك حتى اتناول معك.

- حسناً يا مايكل فلتنس ليللى ولنشرب معاً بكل سعادة .

- واردفت تقول : لا توهم نفسك بايللى .

- كلا .. بل هى ليللى نفسها .. ليللى نفسها ولم تنظر نحوى .. لم يكن بوسعها ان ترانى .. وكيف ترانى ولماذا ترانى ؟ لكننى اعرف .. لماذا لم تشأ ان ترانى ؟ اعرف ذلك .. اعرف ذلك .. وقد ارتفع صوتى .

- قالت جريتا .. ماذا تقصد يا مايك..؟!

- قلت .. اقصد انها عاشت ليلاً طويلاً .. آه .. انها كانت هنا تعزف على القيثارة وهى تغنى كل صبح وكل ليل يولد رجال للسعادة والهناء.. كل صبح وكل ليل يولد بعضهم للشقاء .. لقد ولدت هى للسعادة والهناء .. اما انا فقد ولدت للشقاء والتعاسة كانت امى تعرف اننى اسلك نحو الشر وهكذا سانتونيكس فقد كان يعرف اننى اسلك طريق الأشرار .. كان فى مقدورى ان اعيش سعيدا مع ليللى .

فقالت جريتا : كلا .. لا تستطيع ان تفعل ذلك ما كان فى مقدورك ثم إنك لست من هؤلاء الرجال الضعفاء .. وهزتنى بعنف وهى تقول دعك من هذه الأوهام يا مايكل كن واقعياً.

- يبدو لى انك مرهق من عناء السفر وعليك ان تتحلى بالهدوء فانت فى حاجة إلى كثير من الراحة.. ولكن هل كل شىء فى امريكا على ما يرام .

- قلت : وسوف يكون مستقبلنا على ما يرام فهو قد أصبح مضمون .

- ولكن ماذا يقول العم فرانك فى رسالته إننا نسينا أن نقراها .

- وفتحت الرسالة ولم اجد بها شيئا هاما إلا صورة قديمة جمعتنى انا وجريتا فى هامبورج ولا اعرف من اين اتى بها إذن فقد اكتشف هذا الرجل امرنا ؟ وادرك اننى قتلت ليللى .. رباه .. ما هذا ليها اللعون فرانك من المجنون الذى بعث لك بهذه الصورة يا إلهى .. هل علم بأمرنا إنه الآن يشك إن لم يكن قد تأكد اننا قتلة وإلا لماذا بعث بها عن طريق البريد اللعنة عليك يا فرانك .. جريتا اسمعينى جيدا .. إن فرانك هذا يبغضك بشدة وقد سالنى منذ متى اعرفك فانكرت له سابق معرفتى بك وهو ثعلب عجوز وسوف يتأكد من قتل ليللى على ايدينا إذا انا تزوجت منك الآن .

فقالت جريتا : مايكل تماسك تحلى بالقوة اراك خائف ترتعد .

- قلت : لا داعى لهذه النصائح .

- قالت : كلا إننى اقول الحقيقة .

- قلت : ليل طويل لا ينتهى يا الهى.

- شعور غريب تملكنى كاننى اعيش فى ليل طويل لا ينتهى

ابدا ارى الموتى فيه فقط اما الأحياء فلا ارى احدا منهم بل وهم ايضا لا يرونى مع اننى حى .

لقد دخلت فى جوف الليل وانه لظلام دامس متى سينبلج الصبح متى سارى خيوط النهار اين انت ايها الضوء ؟ اين اشعة النهار ؟ ايها الليل الطويل الا تنتهى وتنجلى عنى وترحمنى .

- عادت جريتا تقول : اوه يا مايكل تماسك يا عزيزى كن رجلا قويا .

- قلت : ليس بمقدورى ذلك يا جريتا فقد بعت نفسى لأراضى الغجر التى كانت آمنة لإيللى .. ولم تكن كذلك لأى احد وانت ايضا ليست امنة لك .

وتقدمت نحوها بضعة خطوات .. الواقع اننى كنت احبها حبا جنونياً فهى جميلة مثيرة فاتنة ولكن لماذا كرهت إيللى لماذا قتلتها ..؟! ولكننى اكره جريتا الآن من اعماق القلب وصرخت فى وجهها .

- ايتها العاهرة القذرة .. ايتها العاهرة اللعونة ايتها الشقراء .. انك لست فى امان يا جريتا .. لست فى امان معى .. هل تفهمين ؟ اننى قاتل سفاح قتلت قبل إيللى وساقتل بعدها .. لقد كنت مستمتعا وهى ذاهبة إلى الموت كنت سعيدا بل سعيدا جدا صحيح لم اقتلها بيدى لكنى قتلتها وسوف اقتل غيرها إلى ان اموت ما اسهل اقراص السم فى الشراب أو الطعام كلا .. بل اريد ان استخدم يدى .. وهنا استولى الخوف والرعب على قلب جريتا لاننى كنت احبها منذ ان التقيت بها فى هامبورج وقد تظاهرت بالمرض للبقاء معها وتم فصلى من الشركة التى اعمل بها .. لكنى ابغضها الآن فلم اعد لها لقد عدت لصوابى وانتقلت إلى عالم آخر غير هذا الذى حلمنا به طويلا .

تلذذت برؤية خوفها وقد اطبقت بيدى على عنقها وانا اشعر بسعادة بالغة نعم كنت سعيدا وانا اقتلها بل سعيد جدا .

الفصل الأخير

ماتت جريتا مخنوقة وظللت ارتشف من الكاس وهى ممدة امامى فتذكرت الميجور فيليبوت وقد شعرت بحب شديد نحو هذا الرجل الذى يدخر جهوده لغيره .. وكنت خائفا هل سيلاحظ اننى قتلت إيللى ولماذا اتساءل الآن ؟

إن كل شىء امامى بات فارغاً خاويا من اى مضمون ورحت اتساءل ما الذى سيحدث الآن ؟ او بعد الآن ؟ ليتنى سمعت كلامك يا سانتونيكس.. بعد فترة لاحظت ان الدكتور شو يقف امامى وقد اخبرته اننى قتلت جريتا يجب ان تنقلوا الجثة ووجدت البيت مزدحما فلم يكن الدكتور شو بمفرده بل الجيران كل الجيران هنا يا الهى ثم اقتربت من الدكتور شو وانا اقول له هامسا .. لقد رأيت إيللى الليلة فاجاب .. صحيح .. اين ..؟

- هنا منذ ساعات تقف بين اشجار الشوح لكنها لم ترانى لاننى له اكن موجودا ولهذا فانا قلق وخائف جدا .

- وهنا قال الدكتور شو .. هل وضعت سم السيانور فى ذلك القرص المنوم الذى اعطيته لإيللى صباح موتها .

- قلت : كان هذا من اجل الحساسية التى كانت تشكو منها .

- قال : لقد كنت ذكياً ولكن ليس ذكاء خارقا.

- قلت : هل اكتشف احد امرى سواك ..؟

- قال : نعم الجميع هنا فقد ماتت كلوديا بنفس السم وبنفس الطريقة وفى نفس المكان ولولا اكتشاف امرها بعد ساعتين من وفاتها حيث فاحت رائحة السم فى الهواء لما اكتشف احد امرك .

قلت : يبدو اننا كنا فى غاية الإهمال انا وجريتا اللعونة .

قال : نعم .. وقد تجلى وجه الحقيقة الآن وإن كنا قد عرفنا بانك القاتل منذ هذا التاريخ اعنى تاريخ مقتل كلوديا التى كشفت لنا النقاب عن مقتل ليللى الغامض .

- قلت : إذن عليك ان تلقى القبض علىّ

- قال : لست من رجال البوليس .

- قلت : فمن تكون إذن ..؟!

- فقال : انا طبيب .

- قلت : ولكنى لا احتاج إلى طبيب .

- قال .. هذا امر يحتاج إلى نظر .

- فنظرت إلى فيليبوت وانا اقول لماذا جئت ؟ هل جئت لمحاكمتى؟

- فقال : انا قاض صديق لك محب للسلام .

- قلت : صديق لى ..

- قال : بل صديق لإيللى .

- لم افهم لماذا حضر كل هؤلاء عندى البوليس والأطباء والجيران بدات افقد حساب الزمن لم افهم ماذا يجرى من حولى لقد خارت اعصابى وتاه عقلى واحتار فكرى ماذا جرى ؟ ماذا حدث ؟

ثم لماذا يمطرونى هكذا بعشرات الأسئلة ولماذا امتنعت عن الرد عليهم ؟ وحين سالنى احدهم .. هل تريد شيئا .. قلت : اريد قلما وورقا كى اسجل كل شىء حدث منذ البداية وقلت لرجال البوليس انتم تسالون الشهود لماذا إذن لا تسالونى انا ايضا فانا ساكتب لكم قصتى منذ بدايتها . ياالهى ما هذا إن البوليس قد احضر امى لرؤيتى وهاهى تنظر لى فى اسى وهى تقول تمنيت كثيرا مساعدتك فقلت لها .. لا تندمى يا امى فانا المسئول عن اختيار هذا الطريق الشائن .

وهاهو المهندس العبقرى سانتونيكس قد طاف بخيالى وهو يحذرنى ولكننى لم اعبا بما ردده كثيرا، ولماذا فإن احلامى فاقت كل حد ثم إننى مازلت احب ليللى التى لن اراها ابدا اما جريتا فقد لعنت اللحظة التى التقيت معها فيها واننى اكتب هذه المذكرات وانا نادم على اننى فقدت هذا الملاك الرقيق اعنى زوجتى ليللى .. ليتنى لم اعرفها .. لم احبها .. لم اتزوجها .. إننى اتمنى ان اموت الآن .. الآن فقط كما يقول اهل الصين .. فانا لا استحق البقاء كما لا استحق العيش بدون ليللى لحظة واحدة .. إننى احببتها من مكنونات القلب كما كرهت جريتا من الأعماق ولكن لين انت يا ليللى سامحينى ياملاكى.. سامحينى يا حبيبتى فلو حاكمونى وبعد موتى لعدمت نفس من اجل اللحاق بك نعم اتشوق إليك يا ليللى .. بل اتحرق شوقا إلى حمل خصلة من خصلات شعرك إلى اناملك إلى صوتك الهامس إلى قيثارتك إلى شدوك الجميل ولكن ما هذا الليل الطويل وإلى متى سيظل هكذا وقد القى سدوله على نفسى هكذا ايها الليل الطويل .. متى سترحل؟.

AGATHA CHRISTIE

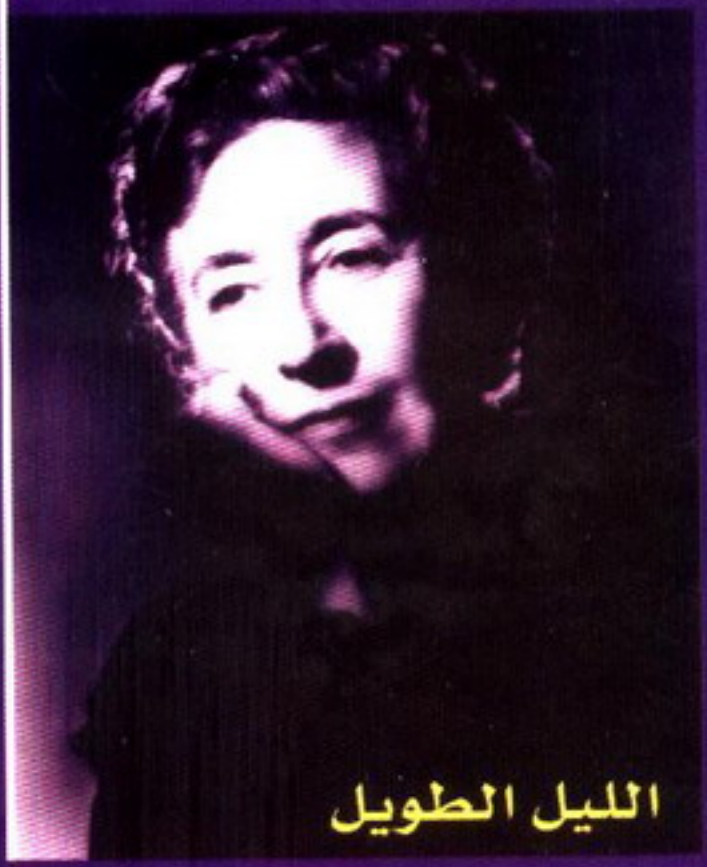

الليل الطويل

أكثر الروايات مبيعا فى العالم